ردمد: ١٦٥٢-٧١٨٩ ردمد (النشر الإلكتروني): ١٦٥٢-٧٤٧٢ العدد الثامن عشر ... رجب ١٤٤٠ هـ - إبريل ٢٠١٩ م

مجلة جامعة الباحة

للعلوم الإنسانية

دورية - علمية - محكمة

مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة

البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مجلة جامعة الباحة
للعلوم الإنسانية

العدد الثامن عشر ... رجب ١٤٤٠هـ - إبريل ٢٠١٩م ردمد: ٧١٨٩ - ١٦٥٢ ردمد (النشر الإلكتروني): ٧٤٧٢ - ١٦٥٢

المحتويات

التعريف بالمجلة .....

الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية .....

المحتويات.....

المكان ودلالته الرمزية في القصص القرآني "قصة موسى أنموذجً 1

د. سارة نجر ساير العتيبي

حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في حل أكل الضبع: دراسة حديثية فقهية..... 47

د. صالح بن فريح البهلال

القواعد النبوية في معالجة مشكلة الإدمان عند الشباب..... 75

د. نورة بنت فهد العيد

حديث "كلِمتانِ حبِيبتانِ إِلى الرحْمنِ، خفِيفتانِ على اللسانِ، ثقِيلتانِ فِي الْمِيزانِ، سُبْحان اللهِ وبِحمْدِهِ سُبْحان اللهِ الْعظِيمِ": دراسة حديثية..... 108

د. مشعل حميد اللهيبي

الأحكام المتعلقة بمتاع منزل الزوجيّة "دراسة فقهيّة"..... 129

د. عبدالخالق محمد عبدالخالق أحمد ..... د. سعود بن ملوح العنزي

التخطيط الإداري في الفكر الإسلامي..... 166

د. خيري عبد الفتاح حبيب عبد العزيز .....د. عبد الرحمن عبد الله عمر

أثر الغفلة وكثرة الغلط في الشهادة..... 185

أ. د. ماهر ذيب أبو شاويش

البدر المنير الساري في الكلام على صحيح البخاري جمع العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي عفا الله عز وجل 201

د. مريم ينت أحمد الخالد

الصدام الداخلي في صورة الآخر في الشعر العربي القديم تأبط شراً والبحتري أنموذجًا..... 237

د. سعيد بن عبد الله القرني

مستويات الفصاحة عند أبي زيد الأنصاري "ت215ه" والأصمعي "ت216هـ"..... 254

د. إيمان بنت محمد مدني

إدراك طلبة كلية التربية بجامعة الباحة للمناخ الدراسي وعلاقته بانفعالات الإنجاز..... 272

د. عماد متولي أحمد ناصف

دراسة أسلوبية للوحات الإعلانية على الطريق السريع بين مدينتي مكة وجدة بالمملكة العربية السعودية..... 310

A Stylistic Analysis of Billboard Advertising on the Jeddah-Makkah Saudi Arabian Highway their Expectations to Draw Success Strategies……..

د. أمل محمد صالح شعيب..... الأستاذة/ مي عبد القدوس أبو السمح

مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية

تصدر عن جامعة الباحة

مجلة دورية ـــ علمية ـــ محكمة

الرؤيـــة: أن تكون مجلة علمية تتميز بنشر البحوث العلمية التي تخدم أهداف التنمية الشاملة بالمملكة العربية السعودية وتسهم في تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم داخل الجامعة وخارجها.

الرسالة: تفعيل دور الجامعة في الارتقاء بمستوى الأداء البحثي لمنسوبيها بما يخدم أهداف الجامعة ويحقق أهداف التنمية المرجوة ويزيد من التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

رئيس هيئة التحرير:
أ. د. سعيد بن صالح الرقيب

مدير التحرير:
د. راشد بن زنان الغامدي

مساعد مدير التحرير:
د. محمد عبد الكريم علي عطية

أعضاء هيئة التحرير:
أ.د. أحمد بن سعيد قشاش
أستاذ بقسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب ببلجرشي جامعة الباحة

د. نايف بن سعيد جمعان الزهراني
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية العلوم والآداب بالمندق جامعة الباحة

د. عبدالرحمن بن محمد الشرفي
أستاذ مشارك بقسم المناهج وطرق التدريس
كلية التربية جامعة الباحة

د. صالح بن محمد أبو القاسم عبدالله
أستاذ مشارك بقسم إدارة الأعمال
كلية إدارة الأعمال جامعة الباحة

د. رشاد بن محمد العريقـــــي
أستاذ مشارك بقسم اللغة الإنجليزية
كلية العلوم والآداب بالمندق جامعة الباحة

د. رحمه بنت محمد صالح عيفان
أستاذ مشارك بقسم الإدارة والتخطيط التربوي
كلية التربية جامعة الباحة

ردمد النشر الورقي: 7189 ـــ 1652
ردمد النشر الإلكتروني: 7472 ـــ 1658
رقم الإيداع: 1963 ـــ 1438

ص. ب: 1988
هاتف: 00966 17 7250341 / 00966 17 7274111
تحويلة: 1314
البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa
الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

المكان ودلالته الرمزية في القصص القرآني "قصة موسى أنموذجًا"

د. سارة نجر ساير العتيبي

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحريملاء بجامعة شقراء

الملخص:

القصة القرآنية تخضع للغرض الديني، فهي وسيلة من وسائل القرآن لتبليغ الدعوة الدينية، لهذا جاءت أحداثها دينية تهدف إلى إرساء السنن الإلهية في الكون، وهنا يبرز دور المكان وأثره على بناء قصة موسى. فللمكان أثر في بناء قصته وتركيبها، واهتم البحث بقصة موسى عليه السلام لأهمية المكان وتعدده فيها، فبدأ البحث بتعريف المكان لغة واصطلاحاً، والفرق بين المكان في القرآن والقصة الحديثة، وتلاه مبحث يتناول القصة القرآنية وأهدافها والقصة الروائية الحديثة والفرق بينهما، وتناول المبحث الثالث جماليات المكان من إبداع قرآني في تنوع القصة وبنائها من بناء متتابع أو مكرر وغير ذلك، وتناول المبحث الرابع الجانب الصوتي وأثره، ودراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها، وفي المبحث الأخير نتناول الفضاء الدلالي، الذي يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة القص وما ينشأ عنها من بُعد بالدلالة المجازية، ويخلص البحث لنتائج اختلاف الهدف والغاية بين القصة القرآنية القصة الحديثة، القصة القرآنية لا تعتمد على هيكل محدد كالقصة لها هيكل محدد، تستخدم القصة القرآنية بعضاً من خصائص القصة الحديثة، يختلف دور المكان في القصة الحديثة عن القرآن، يختلف مدلول كثير من الألفاظ في قصة موسى عن مواطن أخرى في آيات القرآن.

الكلمات المفتاحية: المكان؛ الدلالة الرمزية؛ القصص القرآني؛ قصة موسى.

The Place and its Symbolic Significance in the Quranic Stories "The Story of Moses as A model"

Dr. Sarah Najjar Sayer Al-Otaibi

Assistant Professor, Department of Islamic Studies

Faculty of Sciences and Humanities in Harimela, Shaqra University

Abstract:

The Quranic story is one of the means of the Quran to convey the call and establish the divine Sunnah in the universe. The story has its elements, which are based on it, personalities, dialogue, time and place. Each element has an effective role in it. In our research we address the place and its active role and its impact on building the story of Moussa (peace be upon him) in the Holy Quran. The research was concerned with the story of Moussa (peace be upon him for the importance of the place and its diversity, the research began with the definition of the place as a language and terminology, and the difference between the place in the Quran and the modern story, followed by a section dealing with the Quranic story and its objectives, the modern narrative story and the difference between them. The third topic dealt with the aesthetics of the place of Quranic creativity in the diversity of the story and its construction of sequential or repeated construction and so on, and the fourth topic dealt with the voice aspect and its impact and study the morphological structure of the word and the meaning of the wording, In the last section, we deal with the semantic space, which refers to the image created by the language of storytelling and the consequent dimension of metaphor.

Keywords: The Place, Symbolic Significance, The Quranic story, The Story of Moussa.

مقدمة:

القصص القرآني يتمتع بأهمية بالغة في المنهج القرآني لهداية الناس، وقد بلغ من أهميته أن كانت آياته (١٥٠٠)[١]، وهذا ما يوازي ربع القرآن على وجه التقريب، مما يجعلنا ندرك إلى أي مدى اهتم القرآن بالتركيز على القصص القرآني في منهجه.وذلك من تقديرالحكمة الربانية، ولما للقصص من قوة التأثير في سامعيها، وقد اهتم الباحثون بعنصر المكان وعلاقته بالمتكلم والمتلقي باعتباره الحيّز الذي تحدُث فيه عملية الكلام،[٢] وباعتباره موطناً لمجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية المؤثرة في الخطاب القرآني الذي نزل من قِبل الخالق عز وجل ثم انتقل من رسولنا الكريم إلى كافة الناس، وفي مجال الدراسات الدلالية البحتة يكون بإمكاننا إلقاء الضوء على المكان بطريقة مختلفة، وذلك عن طريق دراسة أسماء الأماكن في مجموعة من السياقات القرآنية. وقد ورد في الكتاب الحكيم أسماء لأمكنة ومواقع عديدة، تعلّقَ بعضها بقصص الأنبياء والأقوام والصالحين، مثل، مكة والأيكة وطوى، ومصر والمسجد الأقصى، والطور وبابل والحجر والأحقاف والجودي وبدر، وحنين ويثرب والكهف، ومدين والطور في قصة موسى. وهي ما تعتمد عليه الدراسة الحالية كنموذج لإبراز المكان ودلالته الرمزية في القصص القرآني، وقد استهدفت دراستنا إظهار الجانب الجمالي والفني والأدبي لهذا المكون السردي ودلالاته، فكل قصة لا تخلو من الأحداث المتنوعة، وبتعدد الأحداث، تتعدد الأمكنة في القصة الواحدة، وهذا التعدد يكشف عن الدلالات، وقد يخضع هذا التعدد لخاصية تضبطه وهي التلاحم المكاني، وجاء اختيارنا لسورة موسى نموذجاً للتطبيق، لأنها أكثر القصص القرآني بسطًا وتفصيلاً.

أهمية الموضوع:

تعد قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص سرداً في القرآن الكريم، وقد التفت إليها الكثير من الباحثين، وتمت دراسة الكثير من جوانبها المتعددة: العبرة منها، التربية العقدية فيها، الجوانب الأدبية، البلاغية، وغير ذلك، ويظهر لي من أسرار إعجاز القرآن الكريم فيها أنها عرضت في ألف وخمسمائة آية تقريباً، وفي مناسبات عدة، ولا تجد فيها اختلافاً ولا تعارضاً، بل كلّ متماسك يكمل بعضه بعضاً، لذا ارتأيت أن أكمل نقصاً لم تلتفت إليه الكثير من الدراسات بل مرت عليه مروراً دون التفصيل فيه على حدة لبيان أثر المكان على الرسالة ودلالة ذلك كلّ في موضعه، لذا كان هذا البحث الذي يصور تلك الأحداث بصورة جلية من خلال أماكن أحداثها، وبيان الطرق الفنية المتعددة التي تناول القرآن الكريم عرض القصة من خلالها، والبلاغة الكامنة في ثنايا آيات القرآن الوارد فيها قصة موسى عليه السلام.

---

[١] القصص القرآني. بلبول ص (ب).

[٢] راجع، صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية – دراسة لسانية ط ٠١، ٢٠٠٤، الأهلية للنشر والتوزيع، ص ١٧٧....١٨٠.

[٣] لسان العرب، مادة مكن.

أهداف الدراسة:

١. عرض الأماكن التي وردت في قصة موسى عليه السلام بصورة جلية واضحة.
٢. استعراض التوافق والاختلاف بين سمات القصة الحديثة والقصة القرآنية من خلال قصة موسى عليه السلام.
٣. تطبيق بعض سمات القصة الحديثة على قصة موسى عليه السلام.
٤. بيان قصد القرآن الكريم الأساسي من سرد القصة وعبرة ذلك وليس فقط كما يتوهم البعض الالتزام ببناء وسمات القصة الحديثة بل لها غايات وسمات أرقى وأعلى.
٥. إبراز ما في قصة موسى عليه السلام من الأساليب والصور البلاغية المؤثرة في أحداث القصة.

الدراسات السابقة:

دراسة: محمد خير عدوي بعنوان "العبرة من قصة موسى في القرآن الكريم"، وتتناول معنى العبرة عن الأدباء كمصطلح مرك للقصة القرآنية، وتناول موضوعات القصة وأغراضها وعناصرها، ومميزات القصة وخصائص القصة القرآنية والحديثة، وعرض قصة موسى عليه السلام بتسلسلها التاريخي وعرض الأماكن التي وردت خلال الأحداث، فقد تناولت المكان من خلال عناصر القصة دون زيادة.

دراسة: محمد عبد اللاه عبده دبور بعنوان "أسس بناء القصة في القرآن الكريم"، استعرض الباحث القصص القرآني في توافق بنائه وأساليبه مع مضامينه ومراميه وعرض قواعد القصة القرآنية وعناصر القصة الحديثة المتحققة فيها، وبيان ما أصله القرآن الكريم لهذه العناصر وبيان مقاصده وأهدافه، لذا فكان عرضه للمكان من خلال البناء الفني للقصة كعنصر من عناصرها.

دراسة: يوسف أحمد على أبو ريدة بعنوان "أعلام المكان في القرآن الكريم"، تناول الباحث أعلام المكان التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وقسمها إلى أعلام الديار والأقطار للأمم السابقة، أعلام المدن والقرى، أعلام الأماكن الجغرافية، أعلام أماكن العبادة، أعلام الأمكنة السمعية عن الآخرة في دار الثواب وأخرى في دار العقاب مع بيان المدني والمكي في كل الأماكن الواردة في سياق آيات القرآن الكريم، وهي دراسة دلالية لهذه الأماكن جمعها واستقصاها من القرآن الكريم.

دراسة: بوزيد رحمون بعنوان "الدلالات السياقية للقصص القرآني، قصة موسى أنموذجًا"، تناول البحث بدراسة الدلالات السياقية للقصص القرآني من خلال قصة سيدنا موسى وتحليل دلالات القصة الواردة وأنواع البنية القصصية الواردة فيها، وتحليل المواقف الكلمات التي وردت فيها، وتتوافق الدراسة مع عنصر وحيد وهو البنية القصصية التي وردت فيها قصة موسى مع بحثنا كما سنرى.

دراسة: خالد بن عبد الله بن محمد العمري بعنوان "أساليب عرض قصة موسى في القرآن الكريم"، تتناول الدراسة الجانب البلاغي في قصة موسى عليه السلام من خلال عرض الإيجاز الإطناب التكرار في القصة، والبناء الفني في القصة وبيان ما فيها من أخيلة وبيان بلاغي، ثم تحدث عن بلاغة السرد في قصة موسى عليه السلام وبيان المشاهد والمواقف والأحداث والتوافق فيما بينها، ويتفق البحث مع بحثنا في عنصر وحيد وهو إبراز بعض الجوانب البلاغية في قصة موسى عليه السلام.

منهج الدراسة: هو المزاوجة بين المنهج الاستقرائي الذي حصرت من خلاله الأماكن التي وردت في سياق قصة سيدنا موسى عليه السلام، وبين المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدته في وصف وتحليل مادة مسميات الأماكن الواردة في ثنايا القصة، ودلالة ذلك من خلال بيان الصور الجمالية التي اتسقت مع سياق القصة القرآنية.

وقد اعتمدت الدراسة على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث ثم النتائج والمراجع وهي كما يلي:

القصة بين المفهوم القرآني والمفهوم الأدبي:

١-تعريف المكان لغة واصطلاحاً:

لغة: ذكر "ابن منظور" في كتابه "لسان العرب" مفهوم المكان لغة تحت الجذر (مكن) بمعنى الموضع، والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع وقد أعاد الحديث تحت الجذر (كون)، فقال: المكان: الموضع، والجمع أمكنة وأماكن. قال عبد المؤمن عبد القدوس: ومَكْنُ الضَّباب طَعامُ القُريب ولا تَشهيِه نفوسُ الَعَجمْ[١]، وجاء في قوله "صلى الله عليه وسلم": (أِقّروا الطيرَ على مَكِناتها) [٢]. ومَكُناتها بالضم: يعني بيضها على أنه مستعار له من الضبة لأن المكِنَ ليس للطير وقيل عَنَى مَواَضع الطير والمكنات في الأصل بيض الضباب.وفي شرح الحديث يجوز أن يراد به على أمْكِنتها أي على مواضعها التي جعلها الله تعالى لها قال: لا يصح أن يقال في المكنة: أنه المكان الأعلى التوسع لأن المكِنة إنما هي بمعنى التمكُن مثل الطِلبة بمعنى التطُلب يقال: إن فلاناً لذو مكنِة من السلطان فسمى موضع الطير مكنة لتمكنُه فيه يقول: دعوا الطير على أمكنتها ولا تطيَّروا بها [٣].وقد ورد لفظ المكان في القرآن في قوله تعالى: (**وَاذكُر فِي الكِتابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت مِن أَهلِها مَكانًا شَرقِيًّا**) مريم: ١٦وقوله (**فَحَمَلَتهُ فَانتَبَذَت بِهِ مَكانًا قَصِيًّا**) مريم ٢٢، وقوله (**أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**) فصلت ٤٤.

-اصطلاحاً: ارتبط مفهوم المكان بالرواية منذ ظهورها بالفن القصصي وله عناصره تميزه عن غيره من الفنون الأدبية المختلفة كالشعر، والمسرح وغيره، حيث عدّد النقاد من خلال استقرائهم لأنواع القصة وطرق بنائها بداية من القصص الكلاسيكي في القرون الماضية، وكان من العناصر الأساسية لسرد أحداث القصة: الأحداث،

---

[١] معجم مقاييس اللغة، مادة (مكن).

[٢] أخرجه أبو داود في السنن برقم ١٠٥، ٢٨٣٥-٣. ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٦٨٥).

[٣] لسان العرب، مادة (مكن).

الحكاية، الشخصيات، الزمان، المكان، البداية، النهاية [١]. وهكذا استنبطت خصائص للرواية يلتزم بها الكتاب الروائيون، ومع تطور الأدب القصصي لاختلاف الشخصيات الروائية والبلدان؛ تطورت السمات الروائية، وسار معها التطور القصصي بصورة خيالية، فهناك روايات لا تهتم برسم شخصيات تقليدية وسارت في اتجاه آخر، وبدأت الرواية تأخذ مناحي أخرى في كل العناصر التقليدية السابقة ومنها المكان الذي ناله من التطور الكثير لذا سنبدأ بالتعريفات الكلاسيكية له نصل إلى مفهومه الأحدث. والمكان هو انتقال القارئ إلى عالم خيالي من صنع كلمات الراوي ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر للقارئ [٢]، حيث إن الروائي يخلق له عن طريق وصفه مكاناً له أبعاده المميزة حسب أحداث قصته، وإذا تحققنا قليلاً من هدف ذلك الوصف؛ فهناك من عرفه من خلال هدف المكان في الرواية حيث يرى: أنه كيان اجتماعي يحوي خلاصة تفاعل بين المرء ومجتمعه، ومن خلاله نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطرائق حياتهم وكيفية تفاعلهم مع الطبيعة من حولهم، ويصل التعريف إلى تعريف أدق فهو وعاء يزداد قيمته كلما كان متداخلاً بالعمل الروائي[٣]. لذا سيختلف المكان الروائي من قصة لأخرى حسب مضمون أحداثها من أمكنة ثابتة، متحركة، مغلقة، مفتوحة. وقد تطور مفهوم المكان ذي الحيز المحدد إلى ما هو غير متناهي؛ حيث صار المكان يطلق على الحيز الذي هو حلية جديدة تتزين بها الرواية وله معالم تحدده، فهو إما له مظهر جغرافي ويميز بأنه عوالم لا حدود لها في الامتداد والارتفاع والانخفاض، وإما مظهر خلفي بحيث يمكن تحديده بواسطة أدوات لغوية غير ذات الدلالة التقليدية على المكان، جبل، طريق، بيت، مدينة [٤]. وصار لهذا التعبير الجديد كتاب يتبارون في الإبداع فيه، حيث يرون أنه إذا كان للمكان حدود تحده فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء. وهذا ما برز في القصة القرآنية في عديد من مواطن قصة موسى عليه السلام كما سنرى. وقد سُميّ الحيز باسم آخر وهو الفضاء كمعادل للمكان حيث نظرته للخيال أكثر واعتماده على أنواع القصص الأوربي الجديد في القرن العشرين، فالفضاء الروائي ليس مكاناً ملموساً فهو مجرد مسألة معنوية وتنوعت للفضاء أنواع وأشكال للكتابة الروائية ومن ذلك: الفضاء الجغرافي، فضاء النص، الفضاء الدلالي، الفضاء كمنظور، وهذه السمات الجديدة لها حدود في طريقة القص، لأن المكان يفترض توقفاً زمنياً، أما الفضاء يفترض الاستمرارية وحركة لأنه يشمل مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سرد الحكاية [٥]. وهذا ما وصلت إليه القصة الحديثة التي ترى الوصف التقليدي للمكان بالرتابة لذا لا تهتم القصة الحديثة بالوصف التقليدي السابق؛ حيث سارت في عوالم الفضاء والحيز الجديد. لذا نجد أن للقرآن أهدافاً وغايات عظيمة، فلا

---

[١] أركان الرواية / فوستر / ٣٢.

[٢] بناء الرواية /سيزا قاسم /١٠٣.

[٣] الرواية والمكان / ياسين النصير / ١٦– ١٨.

[٤] في نظرية الرواية / عبد الملك مرتاض / ١٢٢–١٢٤.

[٥] بنية النص السردي / حميد الحمداني / ٦١–٦٤.

يهدف إلى تقديم قصة فنية، وحين يورد إشارة لمكان ما فإنه يعطي فرصة للمتأمل كي يتخيل نواحي عدة، نفسية، اجتماعية إلخ، فغايته سبحانه وتعالى التدبر في القصص القرآني وأسباب وردوها على هذا النحو.

٢-**تعريف القصة: القصة في المفهوم القرآني:** لا يبتعد معنى القص عن التتبع والتقصي، سواء تعلق الأمر بتتبع الأثر المادي، أو بتتابع أحداث القصة أثناء الحكي. جاء في تاج العروس: "قص عليه الخبر قصصاً، أعلمه به وأخبره، ومنه قص الرؤيا. قص أثره: أي تتبعه، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، يقال أقصها قصاً، وقوله تعالى: **(قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبغِ فَارتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصًا)** الكهف ٦٤، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، قال تعالى:**(نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ)** يوسف ٣، أي: نبين لك أحسن البيان، وقال بعضهم القص: البيان، والقصص الاسم، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه تتبع معانيها وألفاظها، ومنه قولهم: "القاص ينتظر المقت، والمستمع إليه ينتظر الرحمة، وكأنه لما يعترض في قصصه من الزيادة والنقصان، وقيل: القاص من يقص القصص لأتباعه خبراً بعد خبر[١]، والقص: فعل القاص إذا قص القصص ويقال في رأسه قصة: يعني الجملة من الكلام[٢]، والقصص: رواية الخبر المقصوص والأثر، القصاص: القاص للقصة التي تكتب والجملة من الكلام والحديث والأمر والخبر والشأن. وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال والواقع، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي محدثة"[٣]. إذن، فالقصة مفردة، والقصص: جمع وهي المصدر، والقاص: اسم فاعل وهو الذي يقوم بفعل القص والقصاص: صيغه مبالغة، أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القصة من جميع جوانبها، والإلمام بكافة أطرافها. وهذا سارت تعريفات القصة في القرآن تستأنس بما تهدف إليه القصة فتقول إحداهن: القصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين[٤].وهذا هو المقصود بالقصص القرآني لأنه روى عن أمم سابقة، وأنبياء، وغير ذلك، ولذا فالقصة القرآنية تدرس حسب مدلولها القرآني والغرض الذي أتت عليه بهذه الكيفية، ومع اعتراف الكثيرين بأن القصة القرآنية تحوي تقنيات تستخدمها القصة الحديثة مثل " التركيز، التكثيف، الإيحاء، الاختزال والاسترجاع الفني،الإبراق "[٥].لكن هذا ليس الهدف الأساسي من القصص القرآني إنما هو تنوع في الوسيلة حسب أحداث القصة والهدف المرجو منها.

-**القصة في المفهوم الأدبي:** تطور مفهوم القصة أو الرواية كذلك مع اختلاف العصور والكتاب والثقافات المختلفة حيث لها تعريف تقليدي تدور الكثير من الروايات حول هذا المضمون، ويختلف التعريف تبعاً لمضمون الرواية وأسلوب كتابتها، وقد كتب النقاد والمهتمون بشأن القصة بإسهاب، وتفصيل، فالدكتور فضل

[١] الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، مادة (ق. ص. ص)، ج ٣، ص ٤٣.

[٢] الصحاح، ج ٣، ص ٢٥٧.

[٣] لسان العرب / مادة قص.

[٤] بلاغة القص في القرآن الكريم / سعاد الناصر / ٢٦.

[٥] في الرواية العربية / فاروق خورشيد/ ٥٦، ١١٦.

عباس يرى أن: القصة: هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أن تكون لها بداية ونهاية. تقسم القصة إلى قسمين هما: القصة الواقعية: تتبع المدرسة الواقعية، والقصة الخيالية: تتبع المدرسة الخيالية أو الشاعرية كما يسميها بعض أنصار هذا الفن، ولكن التعرض للقصص القرآني من حيث هذا التصنيف إلى قصة خيالية وقصة واقعية يعتبر تجاوزاً عما في هذا القصص من إعجاز، لأنها جمعت في روعة بين الحقيقة والخيال وبأسلوب لم يكن له مثيل، هذا ما يسمى بالأسلوب الرومانتيكي في قصص القرآن، ومع واقعيتها فإن أسلوبها المعجز أسبغ عليها تشبيهات ما جعلها فريدة في نوعها من حيث الجمع بين الخيالية والواقعية"[١]. أما الدكتور شوقي ضيف فيقول: "القصة سلسلة أو سلاسل من الوقائع، سلاسل تلتقي لتكون عملاً قصصياً طويلاً، لا يكتفي فيه بجزء من الأجزاء، فهي ليست نبذة، إنما هي كلّ كبير، وتتجلى وحدة الأحداث بينة واضحة، والقصة تسمو كلما تغلغلت في دراسة الإنسان وواقعه، فالقصص:معرفة أحوال السابقين، وقد كانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس، وحرب الفجار، فهي قاموس تقرأ منه أحوال الأمة، اهتماماتها، توجهاتها، عقائدها، حياتها الاجتماعية، وهي بأنواعها كل متكامل من الأحداث المليئة بالحركة القادرة على نقل حياة الأمم السابقة بكل تجلياتها؛ لتكون عبرة للمتأخرين زمنياً عنها، بأسلوب فني يجعل المتلقي يعيش أحداث القصة كأنه أحد شخوصها الحياة، إنها تنقل لنا الحياة بأكملها[٢].وهي عند بعض نقاد الأدب: مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، تتناول حادثة أو عدة حوادث، تتعلق بشخصيات إنسانية أو غيرها مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة[٣].وصاغ ذلك "مانز" حيث قال: هي تسجيل حقيقي وكامل للتجربة الإنسانية، وتوفير جو من الأصالة الحقيقية الكاملة وكلما كانت أقرب للواقع كان ذلك دليل نجاحها [٤]. وهذا ما يرفضه كثير من نقاد الأدب لأن ترصد الواقع ولا تحاكيه، ولذا فأبسط تعريف للقصة التقليدية أنها مجرد سر حكاية [٥].وتطور مفهوم الرواية حسب الكتابات الجديدة فصارت الرواية بلا بطل محدد، ولا انفعالات، تتصف بالحضور الشديد للأشياء فصارت: تنظيم الكلمات في تتابع وهي سلسلة من الأصوات المتتابعة خطياً، وهذه الكلمات ترتبط ببعضها البعض بعلاقات يحددها النظام اللغوي في كل لغة وهي علاقات سياقية[٦].أما القصة القرآنية تختلف عن

[١] عباس فضل، إعجاز القرآن الكريم، ط ١، ص ٢.

[٢] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ص ٢٢.

[٣] فن القصة / يوسف نجم / ٧.

[٤] تطور الرواية الحديثة / جيسي مانز / ١٠٥.

[٥] الرواية العربية الجديدة / بلحيا الطاهر / ١١٣.

[٦] القصة الرواية المؤلف / تود وروف / ٢٣٣– ٢٣٤.

هذه الأنواع كلها، وإن كانت تحمل من سماتها الكثير فلأن لها أغراضاً مختلفة، سياقات ربانية تدعو إلى مالا تعرفه القصة العربية أو الأوربية.

٣-أغراض القصص القرآني: للقرآن الكريم خصائص عدة تناولها المؤلفون من كل المشارب بطرق مختلفة ومنها: بيان الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي، تثبيت، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق، وتسليتهم بدفع الهم والحزن والخوف، وإظهار صدقه صلى الله عليه وسلم في دعوته، وإثبات رسالته بما أخبر به عن أحوال الماضي تعبر القرون والأجيال، ومحاجة أهل الكتاب فيما كتموه من البيانات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل. ومنها كذلك:

أولاً: الموعظة والعبرة: هذا ما أشار إليه صاحب المنار في حديثه عن الطوفان من هود: "وبين أن قصد نوح عليه السلام جاءت في عدة سور كل سورة منها ما ليس في سائرها من ذلك، ولهذا لم يذكر فيها من حادثة "الطوفان" إلا ما فيه العبرة والموعظة المقصودة بالذات، منها فذكرت في بعضها آية وفي بعضها بآيتين فما فوقها من جمع القلة وما في هذه السورة هو أطولها وأجمعها"[١].وحين تحدث عن عدم ترتيب أحداث قصة موسى عليه السلام قال: أن القرآن لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها وإنما المراد بها العبرة والعظة ببيان النعم مفصلة بأسبابها لتطلب بها وبيان النقم بعللها[٢].

وهذا من نجده في قصة البقرة: على أساس تذكير اليهود أنفسهم بالنعم التي أنعم الله بها عليهم ليحببهم إلى النبي عليه السلام ويدفعهم إلى الدخول في الإسلام ومن هنا لم يعن القرآن بتفصيل الأحداث ولا بما وقع عليهم من مصائب.. أما في الأعراف فإنه عنى فيها بالأحداث ليلقي الرعب في قلوب المشركين من أهل مكة ويدفعهم إلى البعد عن التكذيب ولذا شرح الأحداث تفصيلياً [٣].

ثانياً: تثبيت قلب النبي "صلى الله عليه وسلم: يلاحظ ذلك في مفتتح سورة هود حيث قال تعالى **(فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعضَ ما يوحى إِلَيكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدرُكَ أَن يَقولوا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ أَو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنتَ نَذيرٌ)** هود ١٢، وفي قوله تعالى(**كُلًّا نَقُصُّ عَلَيكَ مِن أَنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ في هذِهِ الحَقُّ وَمَوعِظَةٌ وَذِكرى لِلمُؤمِنينَ)** هود١٢٠، وأتى بقصة لوط عليه السلام في **(فَلَمّا جاءَ آلَ لوطٍ المُرسَلونَ)** الحجر ٦١، وقوله تعالى **(وَلَمّا جاءَت رُسُلُنا لوطًا سيءَ بِهِم وَضاقَ بِهِم ذَرعًا وَقالَ هذا يَومٌ عَصيبٌ)** إلى قوله تعالى **(مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظّالِمينَ بِبَعيدٍ)** هود٧٧: ٨٣. حيث نجد قوم لوط وإيذاءهم له وحرصه عليهم، كما أن الرسول عليه السلام كان حريصاً على هداية قومه ولذا جاءت القصة لتثبت فؤاده بأن إيذاء

[١] تفسير المنار ١٠١/١٢/ الفن القصصي في القرآن /خلف الله /١٥٥.

[٢] تفسير المنار /٣٣٧/١.

[٣] الفن القصصي في القرآن /خلف الله /١٥٩.

الأنبياء هو جزء من رسالتهم، وأن إيذاء المشركين لا بد حتماً كما فُعل بقوم لوط، ولا بد أنه آت على هؤلاء، وأنهم سيعلمون عاقبة هذا الموقف[١].

ثالثاً: الحرص على هداية قومه: في قصة عاد قال تعالى (**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ**) إلى قوله تعالى في خاتمة القصة: (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**) سورة الشعراء "١٢٣-١٤٠" وقصة لوط في قوله تعالى (**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ**) إلى قوله تعالى (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**) الشعراء "١٦٠، ١٧٤" تكرر في مفتتح الآيات، "كذبت عاد المرسلين، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون، أني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين"، وخاتمة القصة "إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم".

فالأساس الذي قام عليه بناء القصتين واحد والروح التي تسود القصتين واحدة وإن اختلفت العناصر من أحداث وأشخاص وحوار [٢].

رابعاً: تسلية للنبي "صلى الله عليه وسلم" وتسرية عنه: وإزالة لما بنفسه من هم وقلق كما قال تعالى: في مفتتح سورة طه (**طه ﴿١﴾ ما أَنزَلنا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشقى**) طه ١، ٢، كما أنها تعودنا على الصبر، وتحمل الشدائد في سبيل الوصول إلى الغاية المثلى كما في قوله تعالى (**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ**) الأحقاف ٣٥،٣، كما في قصة موسى وقومه المعاندين في قوله تعالى(**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**. إلى قوله تعالى: **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**) البقرة ٦٠- ٦١.

خامساً: تصور الأحداث كما يعتقدها المخاطبون: وظهر ذلك من خلا سرد قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى (**وَكَذلِكَ أَعثَرنا عَلَيهِم لِيَعلَموا أَنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السّاعَةَ لا رَيبَ فيها إِذ يَتَنازَعونَ بَينَهُم أَمرَهُم**. إلى قوله تعالى **قُلِ اللَّهُ أَعلَمُ بِما لَبِثوا لَهُ غَيبُ السَّماواتِ وَالأَرضِ**) سورة الكهف ٢١-٢٦، وقصة ذي القرنين في قوله تعالى (**وَيَسأَلونَكَ عَن ذِي القَرنَينِ قُل سَأَتلو عَلَيكُم مِنهُ ذِكرًا**). إلى قوله تعالى (**قالَ هذا رَحمَةٌ**

[١] الفن القصصي في القرآن /خلف الله /١٥٨.

[٢] الفن القصصي في القرآن /خلف الله /١٦٢.

[٣] عمر باحاذق: الجانب الفني في قصص القرآن / ١٦٢.

مِن رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَكانَ وَعدُ رَبِّي حَقًّ) سورة الكهف "٨٣- ٩٨". وذلك ظاهر من سؤال أهل الكتاب عن أهل الكهف ١.

سادساً: إثبات الوحي والرسالة: جاءت كثير من آيات القرآن الكريم تثبت تلك الحقيقة، مع كونه عليه السلام أمياً وقد أتى بهذه الأخبار المغيبة كان ذلك دليلاً على أن ما يقوله "صلى الله عليه وسلم" يوحى إليه ٢. ويتضح أيضاً إثبات الوحي كما في بداية سورة يوسف قال تعالى: **(إِنّا أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلونَ ﴿٢﴾ نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هذَا القُرآنَ)** يوسف ٢، ٣، وأيضاً عن موسى عليه السلام في قوله تعالى: **(نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** القصص٣، وكذلك قصة مريم في قوله تعالى **(ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)** آل عمران ٤٤.

سابعاً: الأصل المشترك بين الديانات: تبين كثير من آيات القرآن أن هناك صلة مشتركة بين جميع الديانات فيما تدعو إليه من توحيد بالله، والالتزام بمكارم الأخلاق، والبعد عن الرذائل وغير ذلك مما تتفق فيه الديانات كما في قوله تعالى: **(إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ)** سورة الأعلى ١٨- ١٩، وقوله تعالى **(أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ)** النجم ٣٦- ٣٧ [٣].

ثامناً: ترسيخ العقيدة وقوة الإيمان: بالتأمل في عظمة الله وقدرته، وذلك في قصة عيسى ابن مريم حيث تمثلت في وجوده من غير أب، وتسخير الجن لسليمان عليه السلام كما ورد في قوله تعالى **(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا)** النمل ١٧- ١٩ [٤].وكذلك في قصة آدم، قصة إبراهيم عليه السلام في خلق الطير، قصة عصا موسى.

تاسعاً: الإخبار عن قصص لم يكن لهم به علم: وذلك في قصة يوسف عليه السلام **(ذلِكَ مِن أَنباءِ الغَيبِ نوحيهِ إِلَيكَ وَما كُنتَ لَدَيهِم إِذ أَجمَعوا أَمرَهُم وَهُم يَمكُرونَ)** يوسف ١٠٢، فهي عزاء للنبي بما يرى من خلاف قومه عليه، وإعراضهم عن الهدى الذي بين يديه" [٥]. فيقول له الله تعالى معزياً **(وَما أَكثَرُ النّاسِ وَلَو حَرَصتَ بِمُؤمِنينَ)** سورة يوسف ١٠٣، فمهما حرصت على هدايتهم، واجتهدت في طلبهم وشدهم فإن أكثرهم

---

[١] الفن القصصي في القرآن /خلف الله /٢٨٣.

[٢] سيد قطب / التصوير الفني / ١١٨- ١٢٦.

[٣] محمد خيري عدوي: العبرة في قصة موسى في القرآن الكريم / ١٨.

[٤] عمر باحاذق: الجانب الفني في قصص القرآن /١٥٨- ١٥٩.

[٥] عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقة ومفهومه /٤٩٢.

سيظل على خلاف وإباء، ويخبره أن مآل قومه كمآل آل يوسف، سيملك هو كل شيء عليه السلام وسينضوون تحت ملكه عما قريب إيماناً بالله وطاعة له ولرسوله، كما كانت قصة يوسف انتقالاً من الجدب إلى الخصب، من الضعف إلى القوة، وهناك الكثير من الغايات والأهداف القصصية نجدها مبثوثة في آيات القرآن[١]، غير ما سبق ذكره.

المبحث الأول: انعكاسات المكان على بناء قصة موسى:

القصة القرآنية تخضع لغرض ديني؛ فهي وسيلة من وسائل القرآن لتبليغ الدعوة الدينية، لهذا جاءت أحداثها دينية تهدف إلى إرساء السنن الإلهية في الكون، تحقيقًا للكمال الإنساني المؤهل لمهمة الاستخلاف في الأرض، وهنا يبرز دور المكان وأثره على بناء قصة موسى، ويرد السرد القصصي على وجهين: حيث يرفق الأحداث بذكر المكان، فيساهم في صياغته والتمكين له، ثم إنه يوضح سير الحدث وتسلسله ويكشف لنا عن نتائجه. وقد سرد علينا القرآن الكريم كثيراً من القصص، جاء فيها ذكر المكان صريحاً مباشراً له دلالة وغاية وهدف يرمي إليه، كما هو حال أسماء البلدان (مصر، يثرب، سيناء، الطور، حنين، بدر) أو الأماكن المعلومة أو التي اكتسبت علمتيها من خلال إثبات السياق القرآني لها، مثل سدرة المنتهى، والكهف في قصة أصحاب الكهف، فجاء ذكره خاضعاً لما يرمي إليه الخطاب القرآني من مقاصد وغايات دينية سيقت القصة من أجلها[٢].وأوضح شاهد يظهر فيه لتحديد المكان قيمة نفسية وروحية تفتقدهما الحادثة إذا هي لم تجئ في صحبة هذا المكان، كما في حديث الإسراء، حيث ذكر الإسراء مقترناً بالمكان الذي بدأ منه والذي انتهى إليه، فقال تعالى: **(سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى)** (الإسراء:١).

وذكر بعض الأمكنة في القصص القرآني إنما يأتي لغرض ديني سيقت من أجله وعبرة ترمي إليها، فإذا لم يكن للمكان هذه الخاصية التي تجعل له وضعاً متفرداً بين الأمكنة بحيث تهب منه على الحدث أنسام معطرة أو أنفاس محترقة، فإن القرآن لا يلتفت إليه ولا يجعل له ذكراً، ففي قصة أصحاب الكهف مثلاً، لم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن المكان الذي جرت على مسرحه أحداث القصة، فلم يشر إلى البلد الذي ينتهي إليه هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف، ومع هذا فإن ظلال المكان تلمح في أثناء القصة القرآنية لهذا الحدث، فلما كان الغرض الأهم من ذكر قصتهم هو حفظ البقاء الأول وهو الدين، والمتمثل في حفظ الكهف لأجسادهم ذكر من الأمكنة(الكهف)دون الإشارة إلى البلد أو المدينة. وهكذا نرى المكان يشارك في تحديد أبعاد الأحداث مشاركة تعين على تنمية الحدث وفي تحريكه[٣].

---

[١] أنظر أسس بناء القصة في القرآن /محمد عبد اللاه / ٢٤: ٢٦، التصوير الفني في القرآن سيد قطب / ١٤٨: ١٥٠.

[٢] الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ١٤٧.

[٣] القصص القرآني، ٩٣.

وقد تأتي الأحداث في بعض القصص القرآني خالية من ذكر المكان، بمعنى أن يأتي المكان ضمنياً [1].وهذا اعتبار لغاية الخطاب القرآني كأن تعالج موضعاً عاماً، تكون العبرة فيه درساً شاملاً لكل زمان ومكان، كمثل رجلين جعل الله لأحدهما جنتين [2]، فالقصة لم تحدد لنا مكان الجنتين كما لم تصَّرح بأسماء الفاعلين، إذ جاء ذكرهما في سياق القصة (نكرة) جعل الله لأحدهما جنتين فتكبر على صاحبه وهو يحاوره، إذ قال له (**أَنا أَكثَرُ مِنكَ مالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**) (الكهف: ٣٤)، إذاً العبرة هنا شاملة لكل من غرَّته الدنيا ومتاعها، فغفل عن ذكر الله، ومن ترفَّع عن عطائها وأخلص عبادته للخالق عز وجل، ولأنها كذلك، فهي لا تنتسب لمكان معين، كما سنرى تنوعاً في ذكر أماكن القرآن المختلفة في قصة موسى عليه السلام ونبدأ بـ:

– طوى:ورد لفظ "طُوى" في موضعين من سورتين مكيتين في القرآن الكريم بعد ذكر "الوادي المقدس" في سياق قصة موسى– عليه السلام–، بعد أن خرج بأهله من مدين قاصداً مصر، إذ جاء في الموضع الأول على لسان المتكلم، وهو رب العزة في قوله تعالى (**إِنِّي أَنا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ طُوًى**) سورة طه ١٢، وجاء في الموضع الثاني في سياق إخبار قرآني عن نداء الله– عز وجلّ– له، قال تعالى (**إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوً**) سورة النازعات ١٦: "بضم الطاء مع التنوين، وهو ما عليه خط المصاحف التي بين أيدي الناس، وقرئ " طوى" بضم الطاء وبدون تنوين، وقرئ في غير السبعة "طوى" بكسر الطاء وبالتنوين، كما قرئ "طاوي"[3]، واختلفوا في دلالة "طوى"، فقيل: معناه المكرر مرتين أو المثَّنى، فكأنهُ ثنِّي تقديسه أو بركته أوُ ثنِّي نداء الله لموسى فيه، وقيل: يريدُ طوى من الليل" أيُ قدس لك الوادي ساعة من الليل، وقيل: الوادي المقدس الذي طواه موسى طياً، أي قطعه، وقيل: تعبير عن الأمر بالوطء بقدميه، أي طأ الوادي بقدميك، ورأى ابن عباس وجمهور المفسرين واللغويين أن "طُوى" اسم للوادي وعلم على المكان، فمن صرفه فباعتبار المكان أو الوادي، ومن منعه من الصرف فباعتبار العلمية. والتأنيث، أو التأنيث والعجمة، أو لأنه معدول عن "طاو"، مثل "عمر" عن "عامر"[4]، وما ذهب إليه الجمهور أشبه بالصواب، فقد كان موسى– عليه السلام– عائدا من مدين إلى مصر، والطور والوادي في طريقه[5]، والقراءات القرآنية المختلفة تؤيد رأي الجمهور، فالقراءة التي تصرف "طوى" لا تخرجه عن كونه علما على الوادي؛ لأنه يحمل على المكان والقراءة التي تمنعه من الصرف تؤيد ذلك؛ لأنه يحمل على البقعة، وإعراب اللغويين له يدل على أنهم فهموا منه أنه اسم للوادي[6]، إذ إن موسى رأى النار في طريق عودته من مدين إلى مصر، وآنس

---

[1] الخطاب القرآني، ١٤٧.

[2] القصة في سورة الكهف، الآيات (٣٢-٤٣).

[3] أعلام المكان في القرآن الكريم، أبو ريدة، ١١٧، وأنظر شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ٣، ٤٠-٤١.

[4] معاني القرآن، الفراء، ٣، ٢٣٤ – الكشاف، الزمخشري، ٢، ٢٣١.

[5] قصص الأنبياء، ابن كثير، ٢٥٨.

[6] البحر المحيط، أبو حيان، ٦، ٢١٧.

النار في جانب الطور، فهو علم على الوادي الواقع في الجانب الغربي لجبل الطور الذي كلم الله- عز وجل- عليه موسى- عليه السلام- بجنوب سيناء [١]، وهو الذي قال تعالى **(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ)** سورة القصص ٣٠.

– الطور: ورد اللفظ في عشرة مواضع قرآنية، سبعة منها في سور مكية، وثلاثة مواضع في سورتين مدنيتين، وقد ورد اللفظ معرفا بأل في ثمانية مواضع، خمسة مواضع منها مكية وثلاثة مواضع مدنية، وأضيف إلى سيناء في موضع مكي، وإلى سينين في موضع مكي آخر، ويلحظ أن المواضع المدنية الثلاثة تتناول رفع الطور على بني إسرائيل، أما المواضع المكية، فُنعت الطور في اثنين منها بلفظ "الأيمن"، وأضيف إليه لفظ "جانب" في أربعة مواضع، وورد مقْسما به معرفاً بأل دون إضافة أو وصف في موضع واحد. والسياقات التي ورد فيها اللفظ ترتبط بموسى وبني إسرائيل أو تشير إلى قصتهم، فقد ذكر في موضعين في سياق وصف عودته بأهله من مدين إلى مصر، إذ آنس من جانبه ناراً، قال تعالى **(فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً)** سورة القصص ٢٩وفي نداء الله- عز وجل- له وتكليمه له، في عودته من مدين، إذ قال: **(نادَيناهُ مِن جانِبِ الطّورِ الأَيمَنِ وَقَرَّبناهُ نَجِيًّا)** سورة مريم٥٢، والطور المذكور في الموضعين هو طور بين مصر ومدين، كما ورد اللفظ في موضعين في سياق مواعدة الله لموسى؛لإيتائه التوراة بعد نجاة بني إسرائيل من فرعون وهلاكه في اليم، حيث كان بنو إسرائيل مجتمعين حول الطور[٢]، ففي الموضع الأول ذكر القصة مباشرة، قال تعالى **(يا بَني إِسرائيلَ قَد أَنجَيناكُم مِن عَدُوِّكُم وَواعَدناكُم جانِبَ الطّورِ الأَيمَنَ)** سورة طه٨٠، وفي الموضع الثاني أشار في خطابه لرسول الله محمد عليه السلام إلى حادثة المواعدة، وإنزال التوراة، وقد رأى جمهور المفسرين أن المقصود طور سيناء، وهو الجبل الذي آنس منه النار، وسأل فيه الرؤية وأخذ التوراة عليه [٣]، غير أن فرقة من المفسرين خالفت ذلك، ويؤيد رأي الجمهور ما روي عن رسول الله من حديث كعب إذ أتاه بكتاب قد تشرّمت نواحيه فيه التوراة، فاستأذنه أن يقرأه، فقال له: "إن كنت تعلم أن فيه التوراة. التي أنزلها الله على موسى بطور سينا، فاقرأها آناء الليل والنهار[٤]، وورد اللفظ في ثلاثة سياقات تتناول رفع الطور فوق بني إسرائيل؛ لإلزامهم بقبول شريعة التوراة أو دخول الأرض المقدسة، من ذلك قوله تعالى **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ)** البقرة ٦٣، عن عطاء أنه الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة، وكان بنو إسرائيل أسفل منه، وعن مجاهد أنه الجبل الذي تجلى له ربه عليه[٥]، وذكر بعضهم أن موسى عليه السلام خرّ صعقاً عليه[١]، في إشارة إلى قوله تعالى **(وَلَمّا جاءَ موسى**

---

[١] أعلام المكان في القرآن الكريم، أبو ريدة، ١١٨.

[٢] التحرير، ابن عاشور، ١٦، ١٢٨..

[٣] مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٢،٥٩- تفسير ابن كثير، ٣، ١٦٥

[٤] الفائق، الزمخشري، ٢، ١٩٤.

[٥] جامع البيان، الطبري، ١، ٣٦٧- جامع البيان، القرطبي، ١، ٢٩٦، التحرير، ابن عاشور، ١، ٥٤٢.

لِميقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِني أَنظُر إِلَيكَ قالَ لَن تَراني وَلكِنِ انظُر إِلَى الجَبَلِ) الأعراف ١٤٣، وذكر الزبيدي أن جزءاً من الطور يحمل اسم "الزبير" وهو جبل المناجاة الذي اندك ولم يبق له أثر حين تجلى الله عز وجل للجبل، وبقي الطور هائلاً كبيراً، وأكثر الآراء السابقة تشير إلى جبل الطور بسيناء، غير أن ابن عطية شدد على أن الطور المرفوع عليهم ليس طور سيناء؛ إنما طور غيره؛ لأن رفع الجبل كان فيما يلي التيه من جهة ديار مصر، وهم ناهضون مع موسى عليه السلام [٢]، وقال بعضهم: ربما كان جبلاً قريباً من الطور، لكن الأرجح أنه طور سيناء نفسه الذي كانوا بأصله ارتفع فوق رؤوسهم [٣]، وورد في موضع واحد معرفا بأل في سياق قسم، قال تعالى **(وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ)** الطور ١-٢، ففسره بعضهم بالجبل عموماً أو المنبت خاصة، غير أن الجمهور ذهبوا بالدلالة إلى طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وأنزلت عليه التوراة [٤]، قال سيد: "والطور: الجبل فيه شجر. والأرجح أن المقصود به هو الطور المعروف في القرآن، المذكور في قصة موسى عليه السلام والذي نزلت فوقه الألواح"[٥]. فالطور إما أن يكون عاماً في كل جبل، أو المنبت خاصة أو جبلاً مخصوصاً دارت حوله قصة موسى عليه السلام ابتداء من رؤيته النار في طريق عودته من مدين، وتلقيه التوراة، وفي رفعه على بني إسرائيل لإلزامهم بقبول التوراة أو دخول الأرض المقدسة، فهو طور سيناء وطور سينين، وهو الطور الذي تقوم حوله مدينة الطور الحالية في سيناء[٦]، ولعله سمي بطور ابن إسماعيل، أو اكتسب دلالته من باب تخصيص الدلالة. **وورد طور سيناء:** ورد لفظ "طور" مضافاً إلى سيناء في موضع واحد من سورة مكية، قال تعالى **(وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ)** المؤمنون٢٠، فرأى الزمخشري أن الطور إما أن يكون مضافاً إلى مكان اسمه سيناء، وإما أن يكون "طور سيناء" اسماً مركباً من المضاف والمضاف إليه كامرئ القيس، والمراد به جبل فلسطين أو جبل بين مصر وأيلة [٧]، غير أن الشهاب الخفاجي تعقبه فقال: والمشهور خلاف ما قاله أبو حيان، فإن المعروف اليوم بطور سينا، ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة"[٨]، ولا أرى تناقضاً بين القولين، إذ يقولون: جبل بالشام وجبل بيت المقدس، وهم يريدون جبل الطور في سيناء[٩].

---

[١] مسالك الأبصار، العمري، ١، ٤٦٣.

[٢] أعلام المكان في القرآن الكريم، أبو ريدة، ١١٥.

[٣] الفتح، الشوكاني،١، ٧٧٩.

[٤] الكشاف، ٤، ٢٢ – نظم الدر، البقاعي، ١٩، ٢:٣.

[٥] ظلال القرآن، سيد قطب، ٦، ٣٣٩٣.

[٦] أعلام المكان في القرآن الكريم، أبو ريدة، ١١٥.

[٧] الكشاف، الزمخشري، ٤، ٢٦٨.

[٨] أعلام المكان في القرآن الكريم، أبو ريدة، ١١٦.

[٩] معجم البلدان، ياقوت، ٣، ٣٤١ – أعلام المكان في القرآن الكريم، أبو ريدة، ١١٦.

– **مدين:** ورد لفظ "مدين"، في عشرة مواضع من القرآن الكريم، حيث ورد في سورتين مدنيتين مضافاً إليه لفظ" أصحاب"، وورد في ثمانية مواضع من سور مكية، حيث جاء في ثلاثة منها مصاحباً للفظ "أخاهم"، وورد في موضعين مضافا إليه لفظ "أهل"، وأضيف إليه لفظ "ماء" في موضع واحد، ولفظ "تلقاء" في موضع آخر، وجاء في موضع واحد في سياق دعاء عليهم بالبعد، وقد اختلف المفسرون في دلالة" مدين"،فقيل :المقصود مدين بن إبراهيم الخليل، وقيل :قبيلة تنسب إليه، وقيل :البلد[١]، والأرجح عند جمهور العلماء أن" مدين "اسم البلد سمي باسم القبيلة التي سميت باسم الجد[2]، وترجح السياقات دلالته على المكان، وبخاصة حين يضاف إليه ألفاظ أصحاب وأهل وماء، كقوله تعالى:(**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ**) القصص ٢٢، فالقبيلة تكون متفرقة في البلاد غالباً، والتوجه يكون لناحية محددة، ولهذا أضاف إليه لفظ" أهل" في موضع آخر، فقال تعالى:(**وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ**) القصص ٤٥.

– مجمع البحرين: وردت الكلمة في موضعين بسورة الكهف في قوله تعالى: (**وَإِذ قالَ موسى لِفَتاهُ لا أَبرَحُ حَتّى أَبلُغَ مَجمَعَ البَحرَينِ أَو أَمضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمّا بَلَغا مَجمَعَ بَينِهِما نَسِيا حوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبيلَهُ فِي البَحرِ سَرَبًا**) الكهف ٦٠-٦١، حين علم موسى عليه السلام أن هناك من هو أعلم منه، فحدد الله له مكاناً يعرفه هو، سيجد هذا الرجل الموعود، وذلك لبيان أن فوق كل ذي علم عليم، كي لا يغتر بعلمه وحده، و اختلف المفسرون في المقصود بهذا المكان، ولم يجزم أحدهم بأن هذا الموضع هو المقصود فنجد الطبري وتبعه الزمخشري بأنه اجتماع بحر فارس والروم كما روى عن قتادة والأول من قبل المشرق والثاني من قبل المغرب [٣]، وظل هذا الرأي عند غالب المفسرين وزادوا عليه حيث زاد الماوردي اثنين، الثاني أنه بحر أرمينية مما يلي الأبواب، والثالث هو الخضر وإلياس وهما بحران من العلم [٤]، وهذا ما قال به الرازي وزاد أنه ليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك وإلا فالأولى السكوت عنه، وكان أقرب الإشارات لهذا المكان عند القرطبي حين زاد علة ما سبق وحدد مكاناً ربما تعضده بعض الآثار الحديثة بأنه، قيل أنهما بحر الأردن وبحر القُلزم[٥]، وأشار ابن عثيمين أنه ملتقى البحر الأحمر مع البحر الأبيض وكان فيما سبق بينهما أرض حتى فتحت القناة[٦]، وهذا ما أشار إليه صاحب الظلال ولكنه زاد عليه مرجحاً أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر

---

[١] مفاتيح الغيب، الرازي، ١٤، ١٨١– معجم البلدان، ياقوت، ٤، ٧٤.

[٢] البرهان، الزركشي، ٣، ١٤٨– معاني القرآن، الفراء، ٢، ٢٦٣– أعلام المكان في القرآن الكريم، أبو ريدة، ٧٣.

[٣] تفسير الطبري، ١٨، ٥٥ وأنظر الكشاف، ٢، ٧٣١.

[٤] تفسير الماوردي، ٣، ٣٢٢.

[٥] مفاتيح الغيب، ٢١، ٤٧٩ وانظر تفسير القرطبي،١١، ٩.

[٦] تفسير سورة الكهف، ابن عثيمين، ١٠٨.

الأحمر، لأن هذه المنطقة كانت مسرحاً لتاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر [١]، ولكن أشارت بعض الدراسات الأثرية أنه عند نقطة التقاء خليج العقبة بخليج السويس بجنوب سيناء بمنطقة رأس محمد بشرم الشيخ، وعرض صوراً لما يؤكد اكتشافه الأثري [٢]، وربما هذا ما يرجح المكان لكثرة أحداث بني إسرائيل في المنطقة القريبة في شبه جزيرة سيناء.

– صحراء سيناء: وردت لفظة سيناء مرتين في القرآن الكريم وردت مرة بلفظها سيناء في قوله تعالي: **(وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ)** المؤمنون ٢٠، ووردت في سورة التين بلفظ سينين كما قال تعالى: **(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ)** التين ١-٢ وهي محافظة مصرية، في شبه جزيرة صحراوية تفصل بين قارتين، ومساحتها حوالي ستين ألف كيلو مترا وارتبط اسمه بقصة موسى عليه السلام وتيه بني إسرائيل، وقد ورد عن العرب كلمة سيناء إما بكسر السين أو بفتحها وهي خط المصحف واختلف اللغويون في أصل اللفظ، منهم من عده عربياً مشتقاً من السناء، وهو الارتفاع، أو من السنا وهو النور، أو من السين والسيناء وهو الحجارة أو الشجر وقد أخبر المبارك عن ابن عباس ومجاهد والحسن في قول قتادة وعطاء، ورأى آخرون أن كل جبل يحمل الثمار فهو سيناء، ومعناه الشجر الكثير في قول أبي عبيدة [٣]، وقد وردت مضافة إلى لفظ الطور في موضع واحد، وهي تعدد نعم الله على الإنسان من خلال فوائد زيت الزيتون، ويرى جمهور المفسرين أن الطور جبل يقع في مكان اسمه سيناء بين مصر وأيلة [٤]، فهو اسم البقعة أو المكان المعلوم المشهور، وهذا ما تم بيانه في شرح لفظة طور سيناء.

المبحث الثاني: جماليات المكان في قصة موسى:

تتناول قصة موسى عليه السلام محاور عدة، وهنا استخدمت الآيات أمكنة محددة معروفة ومعلومة، وهناك أمكنة جغرافية يفسرها كل حسب معتقداته وما يستجد من أفكار وعلوم، فاستخدم في القصة المكان الواقعي عكس الرواية، وجاءت في الآيات تعبيرات فنية توحي بأداء نفسي، اجتماعي، إعجازي، وكذلك اعتمدت القصة في كثير من أحداثها على الحوار كما حدث بين موسى وفرعون، وكذلك اعتمدت القصة على عنصر التشويق من خلال استخدام مصطلح روائي حديث الاسترجاع الفني أي البدء بالنهاية ثم تتوالى أحداث القصة بعدها، واستطاعت القصة أن توظف المكان من خلال كونها مرآة عاكسة لمشاعر موسى التي وردت في أنحاء القصة، حيث لها هدف عظيم، وهو تحقيق غايات مستوجبة بأعظم قدرة من الدقة [٥]. وهذا ما ابتنت عليه القصة فكانت

---

[١] في ظلال القرآن، ١٥، ٢٢٧٨.

[٢] موقع العربية، ٦ ديسمبر ٢٠١٦ م / ٦ ربيع الأول ١٤٣٨ هـ.

[٣] أنظر لسان العرب والقاموس المحيط، والقرطبي، ١٢، ٧٧.

[٤] القرطبي السابق، الكشاف، ٣، ٢٩، الواحدي، الوسيط، ٣، ٢٨٧، أبو حيان، المحيط، ٧، ٣٦٤.

[٥] تطور الرواية الحديثة / جيسي ماتز / ٦٩.

تسجيلاً حقيقياً لتجربة إنسانية واقعية بالقرآن. وقد بنيت القصة على عدة مستويات في عرض أحداثها، مما حفز الدارسين أن يبحثوا عن مصطلحات تفسر تلك الأحداث من خلال عرض خصائص السرد القصصي في الرواية العصرية الحديثة، وهذا ما وضحه قطب حيث بين أن القصة في القرآن لغرض ديني وليس تاريخي، فقد تبدأ من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض كاملة، وتارة يكتفي ببعضها [١]، كما سنرى فيما يلي من فنيات للقصة الحديثة تطبق على القصة القرآنية:

–البناء المكرر: وهذا ما نجده في كثير من آيات قصة موسى عليه السلام، حيث تعددت رواية أحداث القصة لتعدد المواقف والسياق المختلف كما في قصة العصا في قوله تعالى (**فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ**) الأعراف١٠٧وقوله(**قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى ﴿١٨﴾ قالَ أَلقِها يا موسى ﴿١٩﴾ فَأَلقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسعى**) طه ١٨–٢٠، وقوله (**وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ**) القصص٣١، وانتهى الكثيرون إلى أن العصا كالحية في الضخامة وكالثعبان في الخفة والنشاط،كالجان في الفزع[٢]

–البناء المتتابع: وهذا ما ورد في آيات قصة موسى في سورة القصص "١٤– ٤٠" بدأت ببلوغ موسى أشده – حادثة القتل غير المتعمد – خوفه وترقبه – نصيحة الرجل له – خروجه غلى مدين – ورود ماء مدين – مجيء المرأتين واستدعاؤه – زواجه– مسيره بأهله – لقاؤه بالله تعالى – دعوته لفرعون – فرعون وهامان – نجاته والمؤمنين– غرق فرعون [٣].

–البناء المتداخل: وهذا ورد في ذكر القصة في سورة طه " ٩– ٩٨"، فزمن الأحداث يتداخل، يتقدم المستقبل على الماضي، أو الحاضر على الماضي: حيث سارت على هذا النحو بداية من: رؤية موسى للنار – لقاؤه بالله تعالى – دعوته لفرعون –لقاؤه بالسحرة – مسيره بعباد الله في البحر اليبس – غرق فرعون وجنوده – موعده مع الله تعالى – عبادة العجل – غضبه –لقاؤه بالسامري [٤].

–البناء المتوازي: وهو توزع الحدث على محورين أو أكثر تتوازى أفعاله في زمن وقوعها أو تتباعد نسبياً في أماكنها، وتبقى هذه المحاور نامية متطورة بشخصياتها إلى أن تلتقي في الخاتمة، فهو يقوم على تزامن الوقائع وتعدد

[١] التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ١٦٢.

[٢] البناء الزمني للأحداث في القصة القرآنية / يوسف الطحان / ٥١.

[٣] البناء الزمني للأحداث في القصة القرآنية / يوسف الطحان/٨٢.

[٤] البناء الزمني للأحداث في القصة القرآنية / يوسف الطحان/ ٨٦.

الأمكنة وتباعدها وهذا ما ورد في القصص ٧-١٣، إرضاع موسى وإلقاؤه في اليم وهلع أم موسى عليه وتثبيت الله لها، والثاني: توصية لأخته بتتبع أخباره ومعرفة مكانه وإخبار أمها به[١].

-الاسترجاع الفني: حيث تأتي الآيات بالحل قبل العقدة وتتوالى الأحداث بعدها إلى العقدة القصصية يعقبها الحلول، وهي قصته منذ ولادته والعقدة هي: وضعه في التابوت، وقتل النفس، سقياه لابنتي شعيب، وموقفه من السحرة، نهاية أحداث قصته مع فرعون، سنجد بعد كل حادثة مما سبق ذكره أو عقدة يتبعها حل لها[٢]، من إنقاذه وتربيته في بيت فرعون، وإخباره بتربص القوم به فيهرب، ومعيشته آمناً في مدين وزواجه ابنة شعيب، وإيمان السحرة بإلهه، ووهلاك فرعون في نهاية أحداث القصة.

-البناء الدائري: تسرد القصة منطلقة من نقطة متأخرة في أحداث القصة بحيث تبدأ من النهاية ثم تعود إلى الوراء من أجل عرض تفاصيل القصة إلى أن تصل إلى النهاية التي تبدأ منها مرة أخرى مثل قصة ذبح البقرة، فالقصة تصل إلى الذبح وتظن أنها النهاية، ولكنها تفاجئنا بأنها البداية، سورة البقرة ٦٧- ٧٣ [٣]، وهذا ما يسمى بالفلاش باك، أو الاسترجاع الفني في الرواية الحديثة.

- **التشويق:** من الخصائص المميزة لقصة موسى عليه السلام استخدام التشويق في أثناء عرض أحداثها، وذلك يظهر في مواقف عدة من ذلك: حين تكتم الآيات السر عن بطل القصة وقارئها ثم تكشفه لهما في آن واحد كما في حديثها عن رؤيته للنار وذهابه لها عله يجد ناراً، أو أنيساً، لكنه يفاجأ بحديث الله تعالى له كما وردت في طه (١٠-١٦)، وقد تكشف الآيات بعض السر للقارئ لها مثل حديثها عن إلقائه في اليم وإرجاعه إلى أمه في القصص٧، ٨، ١٣، وقد لا يكون هناك سر يفاجئ به بطل قصتنا موسى عليه السلام فيكشف السر دفعة واحدة لأن الموقف يحتم عليه ذلك كما في موقفه مع السحرة كما ذكر ذلك في سورة الأعراف (١١٧) وسورة طه (٧٠)[٤].

-الجمع بين المتناقضات: في قوله تعالى **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)** القصص ٧. فقد جمعت الآية التي تزلزل كيان أم تلقي بابنها في اليم، جمعت بين أمريين ونهيين وبشارتين: الأمران هما: أرضعيه، ألقيه. النهيان في الفعلين: لا تخافي، لا تحزني. البشارتان في اسمي الفاعل: رادوه، جاعلوه[٥].وقد قدم بعض الكتاب أنواع للبنية القصصية الواردة في عموم القرآن الكريم بمصطلحات أخرى، فحددها بنوعين:

---

[١] البناء الزمني للأحداث في القصة القرآنية / يوسف الطحان/ ٨٨.

[٢] الجانب الفني في قصص القرآن الكريم / عمر باحاذق/ ٩٦ وانظر أسس بناء القصة في القرآن، محمد عبد اللاه، ٨٥.

[٣] البناء الزمني للأحداث في القصة القرآنية / يوسف الطحان/٨٩.

[٤] الجانب الفني في قصص القرآن الكريم / عمر باحاذق/ ٨٩، ٩٢، ٩٤.

[٥] صلاح الخالدي، القصص القرآني، ٢٨٨-٢٨٩، تفسير القرطبي /١٣/ ٢٥٢.

–قصة مغلقة: وهي التي استقل بها موطن قرآني واحد في سورة قرآنية واحدة فريدة، ولم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الإطار مثل قصة سيدنا يوسف في سورة يوسف، قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف٩:٢٥وقصة صاحب الجنتين "٣٢:٤٤" وقصة ذي القرنين"٨٣:٩٨"[١].

–قصة مفتوحة: وهي القصص الغالبة في القرآن الكريم، المتواترة في أكثر من سورة ومتنوعة في الإخبار والسرد من سياق إلى آخر، كما في كثير من الأنبياء ومنها قصة موسى عليه السلام [٢].

المبحث الثالث: دلالات المكان في قصة موسى عليه السلام:

يتناول هذا المبحث الجانب الصوتي الذي قد يؤثر على المعنى، مثل وضع لفظ مكان آخر، ودراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها، وبيان المعاني المفردة للكلمات، ودراسة بعض التعبيرات المكانية والتي تحتاج تركيباً آخر لها. حيث تحمل دلالة الصوت أثراً كبيراً في جذب انتباه القارئ للقصة، وهذا ما اعتمدت عليه الآيات في كثير من المواطن، فنجد ذلك في افتتاحية **سورة الإسراء** وهي تقص ما حدث لبني إسرائيل،نجد تكراراً لصوت معين لدلالة محددة،مرة بالسين وثانية بالراء، فقد تكررت السين ثماني عشرة مرة وهي وبعضها مكرر(سبحان–أسرى–المسجد–السميع–موسى–إسرائيل–لتفسدن–بأس–جاسوا–أحسنتم–لأنفسكم–أسأتم–ليسوؤوا–عسى)والسين من الأصوات المهموسة التي لا يهتز معها الوتران الصوتيان، ولا يسمع لها رنين حين النطق به[٣]، وهو يتناسب والمواقف الباعثة على المآسي والحسرة في أغراض الرثاء[٤]، واجتمع صوت الصاد مع السين من حيث اشتراك الاثنين في المخرج الأساسي الذي يتحدد في طرف اللسان [٥]، وصفة الرخاوة والصفير ثلاث مرات "الأقصى–البصير–حصيراً" وهذا ما يزيد من إيحاء الصوت، والجمع بين هذين الصوتين يصور حال اليهود وكأنهم يتهامسون في سر وخفاء بحسرتهم لما حدث لهم، أما صوت الراء فقد تكرر في الآيات خمساً وعشرين مرة (أسرى–الحرام–باركنا–لنريه–البصير–إسرائيل–ذرية–شكوراً–الأرض–مرتين–كبيراً–الديار–رددنا–الكرة–أكثر–نفيراً–الآخرة–مرة–يتبروا–تتبيراً–ربكم–يرحمكم–الكافرين– حصيراً) وأفاد من خلال خاصيته التكرارية، بسبب تكرر طرق اللسان للحنك لدى النطق بهما[٦]، ونعلم أن من أغراض التكرار بلاغياً تأكيد أمر ما والعناية به، وكذا التقرير والتوبيخ [٧]، لما يفعلونه من عناد وسوء نيتهم حول المقدسات.

---

[١] الخطاب القرآني، سليمان عشراتي، ٦٩.

[٢] الخطاب القرآني، سليمان عشراتي، ٧٠.

[٣] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ٢١.

[٤] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ٤٨.

[٥] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ٢٩٦.

[٦] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ٥٥.

[٧] نور الدين دحماني، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، ٣٥٥.

وفي سورة **طه** نجد أن الموسيقى فيها لها بعد آخر حيث جاءت الفواصل وإن لم تلتزم بالحرف الأخير، فإنها التزمت بحروف اللين المفتوح مع ما قبلها والذي يكون في آخر كل آية مثل(أبى-موسى- ضحى-أتى-افترى-النجوى) طه ٥٦وما بعدها وكذلك جاءت حروف اللين في قصته عليه السلام في سورة الشعراء من "٤٣- ٤٨" رغم أن الفواصل مختلفة [١]، والألفاظ كذلك والعبارات ليست متجانسة كسابقتها في سورة طه إلا أننا نجد إعجازاً صوتياً ولغوياً في سرد القصة والتوافق الصوتي فيما بينها. وسنتناول بعض نماذج وردت لأمكنة في قصة موسى عليه السلام:

- **اليم**: قال تعالى (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي**) القصص ٧. جاء قوله تعالى في سورة طه):**إِذ أَوحَينا إِلى أُمِّكَ ما يوحى ﴿٣٨﴾ أَنِ اقذِفيهِ فِي التّابوتِ فَاقذِفيهِ فِي اليَمِّ فَليُلقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ**) (طه: ٣٧-٣٩) اليمَّ من المفردات التي اكتنف معناها خلاف لغوي، إذ هو البحر لدى أكثر أهل اللغة، وهو النيل لدى أغلب المفسرين، بيد أن فهم هؤلاء يشي بأنهم جعلوا البحر والنهر بمعنى واحد [٢]. ولئن قيل إنه البحر الذي لا يدرك قعره ولا شطاه، فإن دليل بطلانه هو قوله تعالى: (**فَليُلقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ**)، حيث جعل له ساحلاً. وقيل لُجَّة البحر، ويقع اسم اليمَّ على ما كان ماؤه مِلحاً زُعاقاً، وعلى النهر الكبير العذب، واليمَّ الذي أُمِرَت أم موسى أن تجعله في تابوت ثم تقذفه فيه، هو نهر النيل بمصر[٣]. ولكننا نجد في كلام الرازي ما يوضّح المسألة للإفهام، إذ يقول:(اليمَّ هو البحر والمراد به هنا نيل مصر في قول الجميع واليم اسم يقع على البحر وعلى النهر العظيم) [٤].وقد ذكر لفظ اليم في القرآن الكريم ثمان مرات.

وصورة اليم المنتزعة من فضاء العالم الحسي المشاهد لتوحي بمعاني الأمان والاطمئنان والنجاة، في ظلّ بطش فرعون وطغيانه الذي استهدف رُضع بني إسرائيل، ويصل الأداء بين الموقف الراهن حيث استجاب الله لمطلب موسى عليه السلام بأن عضد رسالته بأخيه هارون وزيراً، والموقف السابق الذي تضّمن نجاته وهو رضيع من ذبح فرعون، والمراد هو المن والإنعام والإحسان الذي أسبغه المولى على كليمه تقوية لقلبه.[٥]. ومثلما قُدر لليم أن يحتضن التابوت وبه موسى عليه السلام أمناً على خلاف العادة التي تقضي أن يكون اليم مرتبطاً بمخاطر الهلاك والغرق، أوجدت الإرادة الإلهية النافذة من اليم معادلاً موضوعياً يحيله إلى النجاة والسلامة. وتعقب الحركة القذف في اليم مباشرة حركة إلقاء اليم لموسى في الساحل، إنها حركة حسية مألوفة يصورها الأداء لا تكاد تثير الانتباه في غفلة

[١] عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ماجستير، ١٧٨.

[٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٦، ص ٢٢٢، والطبري، جامع البيان، ج٢، ص ٦٠، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج١٥، ص ٥٧.

[٣] ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٤٥٦. وأنظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٣، ٢٥١٧.

[٤] الرازي مفاتيح الغيب، ج٢٢، ص٤٦. وأنظر معترك الأقران، ٣، ٦٦.

[٥] الزمخشري، الكشاف ٣، ص٦٤.

من الناس، إلا هذه الأم الحانية التي يملؤها اليقين ويغمرها الإشفاق، ولكنها حركة مشحونة بعظمة القدرة الإلهية التي تهب النجاة على حافة المخاطر، وإذا بالتابوت يدلف إلى قصر فرعون. وجاء الإلقاء "فليلقه" بصيغة الأمر الذي يفيد الإخبار والمبالغة، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها [١]. لقد كرَّر الأداء ذكر "اليم" مرتين، وكرر معه مرتين أيضاً ذكر: "أوحينا – ما يوحى" و"اقذفيه – فاقذفيه" و"عدو لي – عدو له" و "فليلقه – وألقيتُ"، ولعل في هذا التكرار البلاغي المقصود إيعازاً يلفت الانتباه إلى عظمة التدبير الإلهي الذي يتناسب مع موقف الامتنان. وفي سياق سورة القصص ذُكر خوفان، المقصود بأحدهما الخوف عليه من القتل، وأما الثاني:فالخوف عليه من الغرق أو الوقوع في يد فرعون، وغيره من المخاوف والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غمَّ يصيب الإنسان لأمر متوقَّع، والحزن غمَّ يصيبه لأمر واقع وهو فراقه، وكان في الوحي إليها بثاً للطمأنينة في نفسها، وفي ما وُعدت ما يسليها يملؤها بشراً برده إليها وجعله من المرسلين [٢].ولا ريب أننا نجد ذكر الخوف يتكرَّر ضمن صورة اليَم لأن جوَّ هذا الخطاب القصصي ككل ضمن سورة القصص يخيم عليه خوف سيطر على أم موسى عليه السلام، التي أصبح فؤادها فارغاً، كما سيساوره ويلازمه هو لاحقاً في مواقف عدَّة من سيرته [٣]، ومن هنا اصطنع في القصص لفظ "فألقيه"، ضمن سياق شرطي، خلافاً لسورة طه حيث جاء الأداء في لفظ "فاقذفيه" ضمن سياق الأمر القطعي، لأن المقام مقام امتنان وتعظيم لله تعالى، وكلاهما فعل يتضمن حركة مشحونة بقيمة نفسية مغايرة، وكأن الإلقاء يتناسب مع موقف الخوف والذعر، أما القذف يتناسب مع موقف الثقة والهدوء[٤]. وقد ارتبط اليَم أيضاً بحدث عظيم، اختلف مدلول اللفظة فيها عن السياق السابق بصورة تامة فقال تعالى:(**فَأَتبَعَهُم فِرعَونُ بِجُنودِهِ فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُم**) طه٧٨ والمقصود من الغشيان هنا هو الهول العظيم الذي حل بفرعون وجنوده، فدل الغموض في اسم الموصول "ما" وصلته "غشيهم" على تفخيم هذا الأمر وتعظيمه[٥]، وهذا مما فيه من إيجاز لما حلّ بهم من أمور هائلة وخطوب عظيمة، ويرى الزمخشري أن في الآية من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله[٦].إذن اللفظة هنا حملت من المعاني غير السابقة فالسياق هنا به دلالات الهول والاضطراب وخطب هائل ألمّ بفرعون وجماعته، والهلاك هنا باليم نفسه الذي حمل موسى عليه السلام في هدوء ودعة إلى قصر فرعون، فصارت الدلالة لها من خوف وفزع واضطراب نتيجة لعصيان فرهون وطغيانه، وكان الجزاء من جنس أعماله، فطغى عليه الماء وأغرقه وعصابته.

---

[١] أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٢٢٦.

[٢] الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٩٨.

[٣] فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٦، ص ٧٠.

[٤] نور الدين ادحماني، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، دكتوراه، ٢٢٥.

[٥] نور الدين ادحماني، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، دكتوراه، ٣٥٧، المثل السائر، ٢، ٣٣٦.

[٦] الزمخشري، الكشاف، ٣، ٧٩.

-**البحر**: البحر يحمل نفس تعريف اليم فهو متسع من الأرض أصغر من المحيط مغمور بالماء الملح أو العذب، وكل نهر عظيم يطلق عليه "بحر" كبحر النيل [١]، والراغب يرى أن البحر هو كل مكان واسع للماء الكثير، وإن زاد، ويقال للمالح دون العذب، أما تسمية العذب بحراً لكونه مع المالح كما في قوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**) الفرقان ٥٣، وقال بنفس المعنى الخليل: حيث البحر سمي به لاستبحاره وهو انبساطه وسعته[٢]، وهذا ما أكده كذلك صاحب اللسان، حيث البحر هو الماء الكثر، ملحاً كان أو عذباً وهو خلاف البر، وسمي بذلك لعمقه واتساعه[٣]، وقد ذكر البحر في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين مرة، وأغلب من شرح اللفظ بين أنه يغلب عليه معنى المالح وهو الواسع كالبحر الأحمر، البحر المتوسط وغيرها، واستخدم القرآن الكريم كلمة البحر بدلالات عدة تختلف من سياق لغيره. فقد تتحدث عن نعمه وضرورة التمتع بها، وهي نعم عامة مشهورة يذكرنا الله بأنه المنعم علينا، كما في قوله تعالى (**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**) المائدة ٩٦، وفي سورة إبراهيم ٣٢ وفي سورة الإسراء ٦٦[٤]، واستخدم البحر في صورة مجازية عن تناهي علم الله وعدم محدوديته في قوله تعالى (**قُل لَو كانَ البَحرُ مِدادًا لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ البَحرُ قَبلَ أَن تَنفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَلَو جِئنا بِمِثلِهِ مَدَدًا**) الكهف ١٠٩ وهي كناية عن عدم تناهي معلومات الله تعالى [٥]، واستخدمها القرآن عن علوم الله التي يعلمها وهي كل المغيبات عن البشر في قوله تعالى (**وَعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إِلّا هُوَ وَيَعلَمُ ما فِي البَرِّ وَالبَحرِ**)الأنعام ٥٩. حيث استخدم الله تعالى الاستعارة فقد شبه الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس المستوثق عليها بأقفال لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتحها عز وجلّ [٦]. أما قصة موسى عليه السلام سنجد للبحر دلالات أخرى فقد وردت في قوله تعالى (**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**) البقرة ٥٠. هنا اللفظة لها مدلولان نجاة من الله بمنته على بني إسرائيل، وهلاك ودمار على فرعون كما يقول ابن عاشور: المنة من الله هي: أنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وهو نجاتهم من الهلاك مع هلاك عدوهم [٧]،فاختلف المدلولان تبعاً لكل فريق. وفي قوله تعالى (**وَجاوَزنا بِبَني إِسرائيلَ البَحرَ**) الأعراف ١٣٨ وقوله تعالى (**وَجاوَزنا بِبَني إِسرائيلَ البَحرَ فَأَتبَعَهُم فِرعَونُ وَجُنودُهُ**) يونس ٩٠ كان البحر منة أخرى من المنعم عليهم، فبدأت الآية ب "جاوزنا" تعني جاز لهم الله الطريق وسهل عليهم، أي

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصرة، ١، ١٦٣.

[٢] المفردات، ١٠٩ –كتاب العين، ١، ١١٦.

[٣] لسان العرب، مادة بحر.

[٤] التحرير والتنوير، ١٣، ٥٢ – ١٣، ٢٣٤ – ١٥، ١٥٧.

[٥] التحرير والتنوير ١٦، ٥٤.

[٦] التحرير والتنوير ٧، ٢٧٠، ٢٧١.

[٧] التحرير والتنوير، ١، ٤٩٤.

يسره الله لهم [١]، وهنا البحر كان عاملاً مساعداً أميناً عليهم.وكذلك في قوله تعالى **(فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)** الشعراء ٦٣ **(وَلَقَد أَوحَينا إِلى موسى أَن أَسرِ بِعِبادي فَاضرِب لَهُم طَرِيقًا فِي البَحرِ يَبَسًا)** طه ٧٧ بدأت الآية بـ"أوحينا" أي بأمر الله وبعلمه وحفظه ورعايته، وأكمل الله لهم المنزلة بـ "عبادي" إضافة الياء تشريف وتقريب والإيماء إلى تخليصهم من استعباد فرعون لهم، أي صار البحر منجاة وأملاً في الحرية التي بعدت عنهم، وهذا ما أكدته آية الدخان في قوله تعالى **(وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ)** الدخان ٢٤. فالأمر لموسى أن يترك البحر الرهو الواسعة فجوته، فهؤلاء الجند لا محالة مغرقون [٢]. فالبحر كما رأينا في الآيات المتعلقة بقصة موسى عليه السلام، كان البحر أمناً وسلاماً ونجاة من فرعون وقومه.

–المدينة: قال تعالى: **(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا)** القصص ١٥، وقال تعالى: **(وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى)** القصص ٢٠.المدينة اسم دالٌ على ذلك الحيِّز الجغرافي الذي يضطرب فيه الناس، ولئن ارتبط ذكر القرية في القرآن الكريم غالباً بالذم والاستقباح، فقد ظلت المدينة رمزاً للقوة والعزة والاستقرار والمنعة، وإلا كيف نفسِّر غلبة إطلاق المدينة على يثرب تفخيماً لشأنها بعد ما هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم، واتخذ منها مركزا للإشعاع النوراني، والحضن الذي حمي الدعوة، وهيأ أسباب قيام حضارة متكاملة وعظيمة[٣]. والخطاب القصصي القرآني يرسم للمدينة صورة لها بعدها الحسي الموحى وقيمتها الاجتماعية، وأول ما ورد ذكر المدينة في الأعراف بصيغة الجمع لما أشار أتباع فرعون بإرجاء قتل موسى وأخيه لئلا يقيما عليهم الحجة فتداخل الشبهة الناس، وإرسال من يطلب أمهر السحرة، ولعل صيغة الجمع تدلٌ على عظم شأن المدينة لديهم سيما وأنها اقترنت بالسحر وهو أخص مهاراتهم وفنونهم، وقد ذكر ابن عاشور عددا من مدائن مصر الكثيرة[٤]. وترد "المدائن" بصيغة الجمع في سورة الشعراء في مشهد لاحق يتصل بإرسال الحاشرين في تعقب موسى عليه السلام وبني إسرائيل؛ لتبرز أن المدينة تمثل مرة أخرى مصدر قوة فرعون وسطوته وجبروته، قال تعالى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ)** الشعراء ٥٢–٥٣. وقد ارتبطت المدينة إذن باستقرار ضمن مقام كريم ونعيم ورغد من الحياة ورفاهية وعيشة مترفة آمنة، لم يلبث أن زال من بين يدي فرعون وملئه حين استكبروا وطغوا وهموا بملاحقة موسى وأتباعه، وهذا من مقومات المدائن التي كان يستمد منها أسباب قوته ومهابته، وهي صورة حسية تعكس سنة من سنن الله في خلقه، وهي خراب

[١] التحرير والتنوير، ٩، ٨٠.

[٢] التحرير والتنوير ١٦، ٢٧٠ –٢٥، ٣٠١.

[٣] نور الدين دحماني، مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القرآني، دراسة تحليلية نموذجية في سورة الكهف، ماجستير، ص٢٤٣.

[٤] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩، ص١٤٢.

العمران والمدن بعد أن يعصف بها الظلم والفساد[١]. وقد قال السدي: أنه دخل المدينة حين ركب فرعون سفينته فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد [٢]، وما يؤكد قيمة المدينة وعلو شأنها ما قاله فرعون في سياق استنكار موقف السحرة الإيماني في قوله تعالى: **(قالَ فِرعَونُ آمَنتُم بِهِ قَبلَ أَن آذَنَ لَكُم إِنَّ هذا لَمَكرٌ مَكَرتُموهُ فِي المَدينَةِ)** (سورة الأعراف:١٢٣)، كان يرى في المدينة حصناً منيعاً أقامه بظلمه ورسخ فيه استبداده وكبرياءه، ففيها يضطرب الناس تحت رحمته ويتفانون في خدمته، ويقدمون له فروض الولاء والطاعة، وكل ذلك مكسب لا ينبغي التفريط فيهم، ويفضح هذا الكلام فزعه وخشيته على ضياع عرشه المهدد وسلطانه المهزوز [٣]. وتحتضن المدينة ضمن قصص موسى عليه السلام حدثاً آخر يمثل منعطفاً حاسماً في حياة الفتى، ذلك ما يشي به الموقف السردي في سورة القصص، وإن أضرب كعادته عن تعيين المدينة. ودخوله عليه السلام خلسة في وقت لا يعتاد دخولها أو لا يتوقعونه فيه لدافع أضمره التعبير القرآني [٤]. يشي بأنها مدينة آهلة بالناس، تموج بالحركة والحيوية معظم الأوقات، ويلمح الأداء إلى حالة من التوجس والحذر التي لازمت هذا المشهد القصصي في قوله تعالى: **(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا)** القصص ١٥ **(فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)** القصص ١٨ **(وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى)** القصص ٢٠ **(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)** القصص ٢١، وخلافًا لصورة المدينة السابقة المرتبطة بقيم القوة والسلطان، تلونت صورة المدينة هنا بلون الخوف والترقب والحذر، بسبب جنايته التي جناها وقتله النفس، ويفكر فيما هو صانعون معه، وتآمرهم علي قتله فكان الخروج الخائف المضطرب [٥]، وهي نوازع جبل عليها بنو البشر، فالصورة تنسجم ومقام الخطاب الكلي الذي يؤكده موقف الخوف كما أشرنا إليه قبلاً، سيما وأن الضوء مسلط على عدو فرعون واضطهاده لبني إسرائيل. ومن أسرار جمال الأداء أن جعل " لفظ (يترقب) يصور هيئة القلق الذي يتلفت ويتوجس، ويتوقع الشر في كل لحظة، والتعبير يجسّم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ، وهذا سبب خرفه كما قال ابن عباس والسدي خائفاً من قتله النفس، يترقب أن يؤخذ [٦]،كما أنه يضخمها بكلمتي "في المدينة"؛ فالمدينة عادة موطن الأمن والطمأنينة، فإذا كان خائفاً يترقب في المدينة، فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر فبدت المدينة صورة رمزية موحية بأجواء هذا الذعر الذي عاشه موسى عليه السلام في تلك اللحظة.

---

[١] ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٧٢ وما بعدها.

[٢] تفسير الطبري، ١٩، ٥٣٧.

[٣] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج ٣، ص١٣٥١.

[٤] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧، ص ٦.

[٥] جامع البيان الطبري، ١٩، ٥٤٢، ٥٤٧.

[٦] تفسير الطبري،١٩، ٥٤٢.

– **القرية:** يرتبط معنى لفظ القرية بلفظ المدينة حيث يؤديان نفس المعنى، فالقرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها، وعند ابن منظور: القرية من المساكن والأبنية والضياع وقد تطلق على المدن [١]، فيما يرى البعض أن سكان المدينة أكثر من القرية، وأن أبنية القرية قد تكون أقل من المدينة، ويرى الخليل أن لفظ القرية لغة يمانية، وهي تجمع على القرى والنسبة إلى قروي وقد تطلق على المدينة كما في قوله تعالى **(وَتِلكَ القُرى أَهلَكناهُم لَمّا ظَلَموا)** الكهف ٥٩، ومعنى القرية: الكور والأمصار والمدائن ٢، وقريب من هذا الرأي الراغب حيث يرى أنها اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وللناس جميعاً وقد تكون بمعنى المدينة كما في سورة هود **(وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرى بِظُلمٍ وَأَهلُها مُصلِحونَ)** ١١٧ [٣]، وهذا ما فصله الدامغاني لمعاني القرية وقد أطلق عليها عشرة مسميات، منها المعنى المقصود هنا وهو: مجتمع الناس في أي موضع كان كما في قوله تعالى **(وَإِن مِن قَريَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها قَبلَ يَومِ القِيامَةِ أَو مُعَذِّبوها عَذابًا شَديدًا)** الإسراء ٥٨، وأطلق عليها مسميات أخرى مثل: مكة في قوله تعالى **(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ)** محمد ١٣، وأنطاكية، ومصر وغيرها [٤].ولكن العرف السائد اليوم عن القرية يختلف عن المدينة، حيث إن القرية تجمع للناس في بيئة ريفية زراعية [٥]، أما المدينة فهي بيئة حضرية، ويختلف مدلول لفظة القرية ففي سورة البقرة تعني الإسراع في الدخول والأكل والسجود، أما في سورة الأعراف فهي تعني الاستقرار والتمتع والأكل [٦].**(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)** البقرة ٥٨ **(وَإِذ قيلَ لَهُمُ اسكُنوا هذِهِ القَريَةَ)** الأعراف١٦١.وهذا ما نجده من آية لأخرى، فاختلاف السياق يجعلها تؤدي معنى جديداً ففي سورة الحج **(فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ)**٤٥ تتحدث عن هلاك قرية بسبب إشراكها بالله فصارت بئرها لا تجد من يشربها، وقصورها خالية من ساكنيها، فالإيحاء الذي تعبر عنه هنا هو الفزع الرعب لهذه القرية الخالية من الحياة.وهذا ما ورد في سورة الإسراء **(وَإِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً)** ١٦. وفي قوله تعالى **(وَإِن مِن قَريَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها)** الإسراء ٥٨ وسورة الأنعام **(وَكَذلِكَ جَعَلنا في كُلِّ قَريَةٍ أَكابِرَ مُجرِميها)**١٢٣. وسورة الأعراف **(وَكَم مِن قَريَةٍ أَهلَكناها)** الأعراف ٤. فجاء ذكرها في مقام التهديد والوعيد والعذاب، فالقرآن الكريم يستخدم قرية حين العذاب والتهديد والوعيد [٧]. وكذلك نجد للفظ القرية مدلولاً آخر حسب سياق جديد كما في قوله تعالى في سورة البقرة ٥٨ وقوله تعالى **(وَإِذ قيلَ لَهُمُ اسكُنوا هذِهِ القَريَةَ**

---

[١] لسان العرب، مقاييس اللغة مادة قرى.

[٢] العين، ٣، ٣٨٥ – وأنظر التحرير والتنوير، ١، ٥١٤ وأنظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٣، ١٨٠٨.

[٣] مفردات الراغب، ٦٦٩.

[٤] الوجوه والنظائر، ٣٧٨، وأنظر معترك الأقران ٢، ٢٣١.

[٥] التحرير والتنوير، ١، ٥١٣.

[٦] من أسرار النظم القرآني / محمد عبد الله سعادة/ ٢٠٥.

[٧] نزهة الأعين والنواظر، ٤٩٩.

وَكُلوا مِنها حَيثُ شِئتُم) سورة الأعراف ١٦١ وهنا اختلف المفسرون في مقصود القرية هنا فمن قائل أنها أريحا[١]، ومن يقول أنها بين المقدس كالطبري والبغوي في تفسيريهما، الخليل في العين [٢]، ورأى الفخر الرازي أنها ليست بيت المقدس على بعض الآراء؛ لأن الفاء في " فبدل" تعني التعقيب وهذا الأمر يعني حدوثه في حياة موسى وهو قد مات في التيه ولم يدخل بيت المقدس [٣]، وأرجح ما قيل عنها أنها بيت المقدس، وقد سكت البعض عن ذكرها حيث قد سكت الله عن تعينها، ولكن مع ذلك فالقرية التي وعدهم إياها الله تعالى بعد معصيتهم، وذلك من نعمة الله عليهم التي رفضوها رغم ما فيها الرزق الوفير ورغد العيش، بشرط أن يدخلوها خاضعين له ذليلين[٤]، أي تدل على الراحة والهدوء والسكينة التي افتقدوها منذ الخروج من مصر لكنهم ظلوا على عصيانهم، فأصابهم رجز من السماء جراء ذلك، فظلوا في التيه أربعين سنة.

-**مدين:** وردت هذه الكلمة عشر مرات في ثنايا آيات القرآن الكريم، سنتحدث عن الآيات التي وردت في قصة موسى عليه السلام، حين هرب من مصر بعد قتله القبطي، فورد ماء مدين كما يقول الله تعالى **(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ)** القصص ٢٢،٢٣.وجد هناك امرأتين تحبسان أغنامهما عن الماء فلما سألهما عن حالهما، أخبراه بأنهما ينتظران الرعاء حتى ينتهوا من سقي أغنامهم؛ لأن أباهما شيخ كبير، فسقى لهما موسى ثم تواري عنهما إلى الظل، هكذا تحدث القرآن عن ورود موسى ماء مدين، وسنجد أن القرآن الكريم استخدم مجموعة من الكلمات الموحية عن حالة موسى عليه السلام النفسية ورجاءه من الله فكان جوابه سريعاً، حيث استخدمت الآية الفعل عسى، وهو فيه رجاء من الله أن يهديه الطريق المستقيم[٥]، هكذا كانت الاستجابة عسى، وعسى كما قال الراغب هي طمع ورجاء من الإنسان إلى الله [٦]، فوجد امرأتين هما النجاة له من بطش فرعون، ولما انتهى من سقياه لهما توارى إلى الظل، والظل لها إيحاءات عدة، فهو كل موضع لم تصل إليه الشمس، وأظلني فلان تعني أن حرسني وجعلني في ظله وحمايته وقد تكون كناية عن رغد العيش كما في قوله تعالى **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)** النساء ٥٧، وهناك ظل محمود وظل مذموم، فالمحمود في قوله تعالى **(وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ)** فاطر٢١، والمذموم في قوله

---

[١] الوجوه والنظائر، الدامغاني، ٣٧٦.

[٢] جامع البيان، ٢، ١٠٢، ١٣، ١٧٨ – تفسير البغوي، ١، ١٢٠ – العين ٢٦٩، صفوة التفاسير، ١، ٥٢.

[٣] مفاتيح الغيب، ٣، ٥٢٢.

[٤] تفسير السعدي، ٣٥.

[٥] جامع البيان، ١٩، ٥٥٠.

[٦] مفردات الراغب ٥٦٦.

تعالى **(وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ)** الواقعة ٤٣[١]، لما شعر موسى بأنه فعل الصواب، ابتعد عنهما في عزة نفس ومنعة ورضي بما فعله، وتحدث القرآن الكريم عن قصته في مدين في آيات أخرى تجعل من مدين بلد المنعة والعزة، والنجاة، وإنعام الله عليه ونجاته وذلك في قوله تعالى **(وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ)** القصص ٤٥ وفي قوله تعالى **(وَقَتَلتَ نَفسًا فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنّاكَ فُتونًا فَلَبِثتَ سِنينَ في أَهلِ مَدينَ)** طه ٤٠، حيث تحدثت الآيتان باستخدام كلمات موحية ولها دلالات "ثاوياً" في سورة القصص، وهي تعني الإقامة والاستقرار، وطول المقام، لأنه الموضع الذي يقام فيه [٢]، واستخدم " لبثت في سورة طه وهي تعني المكث، فلبث بالمكان أقام به ملازماً له، وهنا تتحدث عن نعم الله عليه من نجاته من الغرق وتربيته في بيت عدوه، وإرجاعه إلى أمه ترضعه ثم أقمت في مدين [٣]، إذن حينما تجتمع هذه الكلمات، "عسى –الظل –ثاوياً – لبث" بإيحاءاتها المختلفة والتي تدل على فضل الله عليه ومنته، والنجاة من بطش فرعون وعصبته، فكانت مكافأة الله وزيادة في النعيم والفضل أن زوجه إحدى ابنتيه قبل بعثته بعد أن قضى عنده ما اتفقا عليه.

–الجبل: ورد اللفظ في قوله عز وجل: **(وَإِذ نَتَقنَا الجَبَلَ فَوقَهُم كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ)** الأعراف: ١٧١. لما حكي الله تبارك وتعالى عن بني إسرائيل عصيانهم وتمردهم على أوامر الله، حكي هنا ما عاقبهم به من اقتلاع جبل الطور وسحقهم به إن لم يعملوا بأحكام التوراة. "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ" أصل النتق: الجذب بقوة، ونتقتُ الغرب من البئر إذ اجتذبته بمرة جذباً، ونتق البعير الرحل، زعزعه، ونتقت الزبد: أخرجته بالمخض، ونتقت الملائكة جبل الطور أي اقتلعوه من أصله حتى أطلعوه على عسكر[٤].فهذه اللفظة تحمل معنى القوة؛ففيها من التهديد الشديد والتخويف، فهي أشد وأقوى من الرفع، ذلك أن النتق كما ذكرنا الجذب والزعزعة والاقتلاع، ومعناه أيضاً: هو أن يقلع الشيء فيرفعه من مكانه ليرمي به هذا الأصل في حين أن الرفع ضد الوضع، وهذه اللفظة جاءت مناسبة للفظة "الجبل" وذلك أن الجبل اسم لما طال وعظم من أوتاد الأرض[٥]. وجاء استعمال هاتين اللفظتين ليناسب سياق سورة الأعراف حيث جاء التهديد فيها أشد من سورتي (البقرة والنساء)، فقد أخبر جلَّ وعلا عن أفعال بني إسرائيل من العصيان والتمرد على أوامر الله، ولتضمن السورة من بدايتها تفصيل قصص الأنبياء، وذكرت المشاهد الواقعة يوم القيامة، ومشهد كل من الكافرين والمؤمنين، والأعراف وما يدور بينهم من محاورة ومناظرة، كل ذلك ألقى على سورة الأعراف جو التهديد والتخويف الشديد [٦]. لذلك استعمل لفظ الجبل ليناسب مقام الشدة

---

[١] مفردات الراغب ٥٣٥، ٥٣٦ – أنظر العين، ٣، ٧٧.

[٢] لسان العرب مادة ثوى – مفردات الرغاب ١٨١ – العين ١، ٢١١.

[٣] جامع البيان، ١٩، ٥٥٠ – المفردات، ٧٣٤ – العين ٤، ٦٦.

[٤] لسان العرب: مادة (نتق).

[٥] السابق: مادة (جبل).

[٦] تفسير التحرير والتنوير، ٧/٨ وما بعدها.، من بيان القرآن / محمد الأمين الخضري/ ١٨.

والهول وبيان المقدرة العظيمة، وذلك نحو قوله تعالى في قول موسى عليه السلام: **(وَلَمّا جاءَ موسى لِميقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِني أَنظُر إِلَيكَ قالَ لَن تَراني وَلكِنِ انظُر إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ استَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوفَ تَراني فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسى صَعِقًا)** الأعراف: ١٤٣. فانظر كيف اختار لفظ الجبل على الطور للدلالة على عظمة التجلي وأثره [١].وقد أشار البقاعي في الدرر إلى سر اختيار لفظ الجبل دون الطور في هذه الآية فقال: الجبل: عرَّفه لمعرفتهم به، وعبَّر به لدلالة لفظة على الصعوبة والشدة دون الطور كما في البقرة لأن السياق إنما جاء لبيان نكدهم بإسراعهم في المعاصي الدالة على غلظ القلب[٢].فاستعمل الجبل بدل الطور ونتفاً بدل رفعنا لأن المقام يقتضي ذلك، فإنه أفاض في ذكر صفات بني إسرائيل الذميمة ومعاصيهم في الأعراف، ما لم يُفضه في سورتي البقرة والنساء، فاقتضى أن يكون كل تعبير في مكانه [٣]. ومما يدل على اختياره للفظ الجبل للدلالة على التعظيم والتخويف والشدة، ذكر لفظ الجبال دون الأطوار في مقام التهويل والتعظيم والدلالة على القدرة التي لا تحد[٤]، فقال سبحانه **(وَيَومَ نُسَيِّرُ الجِبالَ)** الكهف: ٤٧، وقوله **(وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا)** الطور: ١٠، وقوله **(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ)** التكوير: ٣، وكل ذلك بياناً لصعوبة حال القيامة والتي فيها من الشدة والكرب والهول ما ليس في لفظ الطور.ومن إعجاز القرآن الكريم في انتقائه لألفاظه ودقته في آيات الحديث عن المكان اختياره لكلمتي "المأوى" و"المثوى" فلكل لفظة دلالة تحملها، حيث تطلق لفظة "المثوى" على وصف مآل غير المؤمنين، ولم تطلق على إقامتهم في الجنة، بينما "المأوى" أطلقت على الجنة وعلى النار والجحيم.

– **مصر**: وردت لفظة مصر في هذه الآيات قال تعالى**(اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ)** البقرة ٦١ وقوله تعالى **(وَأَوحَينا إِلى موسى وَأَخيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَومِكُما بِمِصرَ بُيوتًا)** يونس ٨٧ ويأتي قوله تعالى: **(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)** الزخرف: ٥١ في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون، فهذه الآية تصور لنا موقفاً من مواقف فرعون وملئه، فقد جاءهم موسى عليه السلام بالبينات فسخروا منه فأنزل بهم عذاباً فلجأوا إلى موسى عليه السلام بأن يكشف عنهم العذاب، فلما كشف عنهم ذلك بدعوته؛أضمر فرعون وملأه نكث الوعد الذي وعدوه موسى بأنهم يهتدون، خشي فرعون أن يتبع قومه دعوة موسى ويؤمنوا برسالته فأعلن في قومه تذكيرهم بعظمة نفسه ليثبتهم على طاعته، ويقرر لهم ملكيته لمصر، وينكر عليهم تعاميهم عن ملكه الزاخر بالقوة والخيرات [٥]، وقد ورد في الآية استفهامان: **(أَلَيْسَ لِي مُلْكُ**

---

[١] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ١٢٧.

[٢] نظم الدرر، ١٥٠/٩.

[٣] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ١٢٨.

[٤] بصائر ذوي التمييز، ٣٦٣/٢.

[٥] تفسير التحرير والتنوير: ٢٦٧/٢٥.

مِصْرَ)؟ (أَفَلَا تُبْصِرُونَ)؟ فالاستفهام الأول إنما هو استفهام تقريري حيث يقرر لهم على عذره في نكثه لذلك الوعد لموسى عليه السلام "أليس لي" أي وحدي، ذلك الملك كله فلا اعتراض لبني إسرائيل ولا غيرهم[١].والاستفهام الثاني استفهام إنكاري، أي أعميتم فلا تبصرون؟ ينكر عليهم عدم وقوفهم على عظمة ملكه "مصر" ويحثهم على تحصيل ما أنكر عليهم غيابه عنهم [٢]. أما الطاهر بن عاشور فيجعل الاستفهام تقريرياً حيث جاء التقرير على النفي تحقيقاً لإقرارهم حتى إن المقرر يفرض لهم الإنكار فلا ينكرون [٣]. ويجيء الأمر لغير الإيجاب كثيراً، كقوله تعالى عن بني إسرائيل: **(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ)** البقرة ٦١. فاذكروا يا بني إسرائيل إذ قلتم لموسى على وجه الملل لنعم الله والاحتقار لها لن نصبر على جنس من الطعام، فادع لنا ربك يخرج لنا من الأرض نباتها وهو البقل، والخيار والثوم، والعدس والبصل، فقال لهم موسى **(أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ)** وهو الأطعمة المذكورة، بالذي هو خير وهو المن والسلوى، فهنا استفهام استنكار عليهم، قال لهم موسى: ادخلوا مصراً من الأمصار وبلداً من البلدان؛لتجدوا فيه مثل هذه الأشياء، وقد بين الطبري في تفسيره أن المقصود هنا مصر من الأمصار وليست مصر المشهورة، خاصة أن القراءة المتواترة لكلة مصر هي ما اجتمع فيه الألف التنوين [٤]، لذا فهي مكان آخر غير مصر، أي لا يقتصر المعنى على مصر المشهورة، ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمة جازاهم من جنس عملهم، فالآية اشتملت على أمرين: الأول قوله: **(فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ)** فالأمر هنا للرجاء حيث تصور الآية الكريمة رغبتهم الأكيدة فيما ذكروه من مختلف الأطعمة، وسألوا موسى أن يدعو لهم بما اقترحوه، لأن إجابة الأنبياء أقرب من إجابة غيرهم، ولذلك قالوا: ربك، ولم يقولوا: ربنا، لأن في ذلك من الاختصاص به ما ليس فيهم من مناجاته، فكأنهم قالوا: أدع لنا الذي هو محسن لك، فكأنما أحسن إليك في أشياء كذلك نرجو أن يحسن إلينا في إجابة دعائك [٥].الأمر الثاني: في قوله **(اهْبِطُوا مِصْرًا)** للإباحة المشوبة بالتوبيخ أي إن هذا همكم فاهبطوا بقرينة قوله: **(أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)** أي اهبطوا مصراً من الأمصار، يعني وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله.

---

[١] نظم الدرر: ٤٤٦/١٧.

[٢] التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن: ٥٩/٤.

[٣] تفسير التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٥.

[٤] تفسير الطبري: ٢/ ١٣٢، ١٣٦.

[٥] البحر المحيط، ٣٣٩/١.

لقد ساق القرآن قصص الأنبياء، تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ليتأس بهم؛ فيهون عليه ما يلقاه من الشدائد والمكاره، وآيتنا هذه مما ورد في سياق قصة موسى عليه السلام فيقول جلا وعلافي سورة يونس **(وَأَوحَينا إِلى موسى وَأَخيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَومِكُما بِمِصرَ بُيوتًا وَاجعَلوا بُيوتَكُم قِبلَةً وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ المُؤمِنينَ)** ٨٧ أوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لهم بيوتاً للصلاة والعبادة، واجعلوها مصلى تصلون فيها عند الخوف، وأقيموا الصلاة، وبشر المؤمنين أتباعك بالنصر والغلبة على عدوهم[١]. والتبوؤ: اتخاذ مكان يسكنه، وهو تفعل من البوء، أي الرجوع، كأن صاحب المسكن يُكلف نفسه الرجوع إلى محل سكنه ولو كان تباعد عنه في شؤون اكتسابه بالسير إلى السوق أو الصيد أو الاحتطاب ونحو ذلك. ففي قوله: **(تَبَوَّآ لِقَومِكُما)** مجاز عقلي، حيث أسند الفعل (تبوءا) إلى ضمير موسى وهارون (عليه السلام) إذ كانا سبب تبوء قومهما للبيوت، والقرينة قوله: **(لِقَومِكُما)** إذ جعل التبوء لأجل القوم [٢].ففاعل هذا الفعل (التبوؤ) في الأصل هو السكنى [٣]، فأسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، وهو موسى وأخيه، لأنهما السبب في ذلك، فالعلاقة هنا السببية، وبلاغة المجاز هنا تظهر في المبالغة في مدخليه السبب في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.وقد ورد في هذه الآية من الأماكن "بيوت مصر"، وقد اختلف المفسرون في المراد من هذه البيوت، وذكروا روايات غير ملائمة للقوم يومئذ، فقيل: أريد بالبيوت بيوت العبادة أي مساجد يصلون فيها، وربما حمل على هذا التفسير من تأوله وقوع قوله: **(وَأَقيمُوا الصَّلاةَ)** عقبه، وهذا بعيد لأن الله علم أن بني إسرائيل مفارقون مصر قريباً بإذنه، وقيل: البيوت بيوت السكنى، والمناسب أيضاً لإطلاق البيوت، وكونها بمصر [٤]. ومما له صلة بمصر **بيت وبيوت**: في قوله تعالى **(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)** القصص ١٢. البيت هو من بيوت الناس وبيوتات العرب أحياؤها، والمبيت يجمع كل معاني البيت، ومقصود الآية بعد أن مَنّ الله على الطفل بالنجاة، أراد أن يعيده إلى أمه كي تقرعينها ولا تحزن كما وعدها ربه، فبحثت أخته عنه؛حتى دلت امرأة فرعون على من يرضعه، فأعاده الله إلى حضن أمه مرة ثانية، فكان الحنان والرأفة، والشفقة على فلذة كبدها، والهدوء والراحة والسكينة، والإضافة هنا فيها أمن وأمان، واستعادة القلب الفارغ الوله على ابن فقدته بيديها [٥]. وإن اختلف مدلول البيت من آية لأخرى، فهناك بيت يدل على الوحشة والعزلة مثل قوله تعالى **(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** النمل ٥٢، وهناك بيت وهو الكعبة المشرفة في قوله تعالى **(إِنَّ**

---

[١] جامع البيان، ٦/٤٩٤.

[٢] الكشاف، ٢/٣٦٤.

[٣] التحرير والتنوير، ١١، ٢٦٤.

[٤] جامع البيان، ٦/ ٥٩٦.

[٥] تفسير السعدي، ٥٦٢، مفردات الراغب، ١٥١.

أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) آل عمران٩٦، ويلاحظ أن غالب هذا اللفظ يأتي في مقام التعظيم والتبجيل والتقديس. فقال تعالى: **(وَأَوحَينا إِلى موسى وَأَخيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَومِكُما بِمِصرَ بُيوتًا وَاجعَلوا بُيوتَكُم قِبلَةً)** يونس ٨٧ والخطاب بالمثنى في "تَبَوَّآ، لِقَومِكُما"، ثم جمع "اجعَلوا، أَقيمُوا" ثم إفراد وبشر المؤمنين، فالمثنى موسي وهارون، وأن يختارا بيوتاً للعبادة، ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد للصلاة فيها، وذلك واجب على الجميع وليس على للأنبياء فقط، ثم أفرد فقال وبشر لأنه خص موسى بذلك تعظيماً للبشارة لموسى عليه السلام [١]. وإن رأى ابن عاشور أن البيوت المقصود بها هنا بيوت السكنى وهذا هو المناسب للتبوؤ؛ لأن التبوؤ السكنى والمناسب لذلك؛ لأنه البيوت كانت لأجل القوم [٢]، واختتمت الآية بالبشرى لمن آمن وأطلع الله فيما طلبه، وأنظر إلى إيحاء لفظ البشرى من الفرحة والبهجة والسعادة، ومع ذلك لا يقبلون إلا معيشة الخوف والهلع مع أن الله أراد لهم غير ذلك.

–الطور: ورد استعمال لفظ "الطور" في قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ)** البقرة ٦٣، وقوله تعالى: **(وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)** النساء ١٥٤وقوله تعالى **(وَإِذ نَتَقنَا الجَبَلَ فَوقَهُم كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِم)** الأعراف ١٧١، فاستعمل "الطور" في البقرة والنساء، أما الأعراف فقد استعمل لفظ "الجبل" مع أن القصة واحدة، ولكن اختيار كل لفظ كان لسبب اقتضاه المقام. تنظر إلى قول الحق في "سورة البقرة: أية ٦٣" تأتي هذه الآية في سياق بيان ما حلّ ببني إسرائيل من نقم، جزاء كفرهم وعصيانهم وتمردهم على أوامر الله، فقد كفروا النعمة ونقضوا الميثاق. فالله عز وجل يوبخ بني إسرائيل في هذه الآية بما فعل سلفهم، فالمعنى: اذكروا وإذا أخذنا ميثاقكم، وهو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم، برفع الطور فوقهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم من التوراة بجد واجتهاد وصبر على أوامر الله، واذكروا ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلموه لعلكم تتقون عذاب الله وسخطه، أو لتكونوا من أهل التقوى [٣]. فالآية قد جاءت بضمائر الخطاب وذلك لتحميل الخلف تبعات السلف كيلا يقعوا في مثلها، وليستغفروا لأسلافهم عنها [٤]. **(وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ)** أي الجبل وهنا ترهيب لكم لتقبلوا الميثاق الذي هو سبب سعادتكم [٥]. وفي قوله: **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ)** سورة البقرة ٦٣ حذف، تقديره: قائلين لهم خذوا، وذلك هو الذي أخذ الميثاق عليه، والأخذ مجاز من التلقي والتفهم. والقوة مجاز في الإيحاء وإتقان العمل التلقي والعزيمة على العمل. ويقول سبحانه وتعالى **(وَرَفَعْنَا**

---

[١] من أسرار النظم القرآني / محمد عبدالله سعادة/ ١٧٤، الكشاف / ٢/ ٢٢٧.

[٢] التحرير والتنوير، ١١، ٢٦٤.

[٣] تفسير السعدي /٣٧ – صفوة التفاسير، ٥٣/١.

[٤] تفسير الحريري والتنوير، ٥٢٤/١.

[٥] معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم / ٢١٥.

فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ) النساء ١٥٤ تأتي هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وتعدد بعض جرائمهم، فرفع المولى عز وجل الجبل فوقهم لما امتنعوا عن قبول شريعة التوراة بسبب الميثاق ليقبلوه، وأمرهم بدخول باب بيت المقدس مطأطئين رؤوسهم خضوعاً لله فخالفوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على أدبارهم، ونهاهم عن اصطياد الحيتان يوم السبت فخالفوا واصطادوا، وأخذ عز وجل عهداً وثيقاً مؤكداً [١]. وقد وصف الميثاق بالغليظ، أي القوى، والغلظ من صفات الأجسام، فاستعير لقوة المعنى وكنَّى به عن توثيق العهد لأن الغلظ يستلزم القوة [٢]. ثم أمرهم بدخول الباب سجداً، وألا يعدوا في السبت، أي لا يعملوا فيه عملاً من الأعمال، تسمية للشيء باسم سببه سمى عدواً لأن العامل للشيء يكون لشدة إقباله عليه كأنه يعدوا [٣]. واستعمل القرآن المعنى في سياق آخر بمعنى ودلالة مختلفة اقتضاها سياق الموقف ففي قوله تعالى **(وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ)** القصص ٤٤ وقوله تعالى **(وَنادَيناهُ مِن جانِبِ الطّورِ الأَيمَنِ وَقَرَّبناهُ نَجِيًّا)** مريم ٥٢ أرادت الآينان لفظ ومكان رسالة موسى الطور،لكن الأولى مع الرسول صلى الله عليه وسلم والثانية مع موسى، فالله تعالى حين نفى عن رسوله أن يكون بمكان وحي موسى قال الغربي تأدباً مع الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن، أو لفظ مشتق من اليمن والبركة ومع موسى ذكر الجانب الأيمن تشريفاً له [٤].

–عين الماء: قال تعالى: **(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)** البقرة ٦٠ **(وَأَوحَينا إِلى موسى إِذِ استَسقاهُ قَومُهُ أَنِ اضرِب بِعَصاكَ الحَجَرَ فَانبَجَسَت مِنهُ اثنَتا عَشرَةَ عَينًا)** الأعراف ١٦٠. في الآيتين استعملت مرة انفجرت ومرة انبجست، والدلالة فيهما أن انبجس الماء أي انفجر، وتستعمل فيما يخرج من الواسع والضيق، واستعمل القرآن اللفظين حيث ضاق المخرج، فالانبجاس أولاً والانفجار ثانياً، وأتى الانفجار في سورة البقرة، استجابة لطلب موسى عليه السلام، ولذا أمروا هنا بالأكل والشرب، وأتى الانبجاس في الأعراف استجابة لطلب بني إسرائيل استسقاء موسى لهم، ولذا أمرهم بالأكل فقط[٥]. فعين هنا لبني إسرائيل توحي بالأمل في النجاة، والحياة الطيبة التي في انتظارهم، حيث جعل لكل طائفة منهم عيناً يشربون ويمتعون أنفسهم وحدهم، أما لفظ عيون والذي ورد في قصة مطاردة فرعون فقد بينت الآيات أنهم كانوا يعيشون على ضفاف النيل ويحيط بهم النعيم المقيم من ثروة ونعيم،تركوا كل ذلك وراءهم، سيعطي بني إسرائيل مثل تلك الثورة التي أورثها الله تعالى لقوم آخرين كما في سورة الدخان[٦]،حيث قال تعالى **(فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن**

---

[١] صفوة التفاسير،١/٢٩٤.

[٢] تفسير الحريري والتنوير، ٤/٣٠٢.

[٣] نظم الدر، ٥/٤٥٧.

[٤] من أسرار النظم القرآني / محمد عبد الله سعادة/ ١٦٨.

[٥] من أسرار النظم القرآني / محمد عبد الله سعادة / ٢٠، مفردات الراغب /٣٧، الدر المصون / ١/ ٢٣٧.

[٦] التحرير والتنوير، ١٩، ١٢٣، ١٣٣ – ٢٥،٣٠١.

جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) الشعراء ٥٧ **(كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)** الدخان ٢٥.فعين الماء وعيونها تدل على النماء والحياة الرغدة التي أنعم الله تعالى بها على بني إسرائيل وفرعون، حسب الكثير من آيات القرآن تتحدث عن نعيم الجنة،كما في قوله تعالى **عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)** الإنسان ١٨ وغيرها.

–الصرح: وردت كلمة صرح في القرآن الكريم أربع مرات، والصرح هو بيت أو بناء عال، قصر عال، ويقال عنه بيت عال مزوق سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً عن الشوب أي خالصاً عن العيوب، وزاد البعض أنه بيت منفرد يبنى ضخماً طويلاً في السماء ويجمع على صروح[١]، وقد ورد ذكره في قصة سليمان مع ملكة سبأ في قوله تعالى **(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ)** النمل ٤٤ صرح سليمان ابتنته الملائكة، فبنوا له صرحاً وهو كهيئة السطح من قوارير، زجاج، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها، لما رأته ظنت أنه ماء فكشفت عن ساقيها، فأخبرها سليمان بحقيقته، فهو قصر النبوة والذي أمره الله أن يبنيه ليرى ماذا ستفعل، ليريها ملكاً هو أعز من ملكها، وسلطاناً أعظم من سلطانها [٢]، فآمنت مع سليمان، فهذا الصرح يوحي بالعظمة والدهشة والعجب من صنع القصر الصرح. أما في قصة موسى فقد طلب فرعون من هامان أن يبني له بناء عالياً **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا)** القصص ٣٨ **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ)** غافر ٣٦ هنا تحدثت عن مطلب فرعون من وزيره، أن يبني له بالآجر الطين بناء كالصرح كي يطلع على إله موسى أو يطلع على أبواب السماء، وكأنه يريد بناء طريق يوصله للسموات، وكان المصريون يستخدمون في البناء الطين، حيث يجعلون منه قوالب تتصلب إذا طبخت وتخلط قبل ذلك بالتبن لتتماسك أكثر، لكن لم يذكر القرآن أنه بني، وهو ليس الأهرامات فهي من الحجارة وبنيت كمقابر، ولم يخبر أحد غير هذا[٣]، والملاحظ أن هناك فرقاً جوهرياً بين صرح سليمان الذي ابتنته الجن بأمر سليمان، ففيه العظمة والشدة والسلطان، أما صرح فرعون فقد طلبه من وزيره، وهو صرح من خيالات وأوهام، إنما هو من تجبر الطغاة حين يظنون أن لهم القدرة على مواجهة الأنبياء بالألفاظ الرنانة لكسب ثقة جمهورهم بالكذب والخداع، وكان صرح سليمان مشيداً من زجاج تبصر ما تحته، يتحمل أثقالاً، أما هنا الصرح من طين، وهذا مما يبنى في الريف ولا يكلف كثير مال، ويذوب سريعاً مع أمطار وغيرها، فهو كمن بنى صرحاً في الهواء وهو تعلق بأوهام جبروته وطغيانه.

–التابوت: ذكرت كلمة التابوت في القرآن الكريم مرتان ولكل منهما مدلول يختلف عن الأخرى، ففي سورة البقرة قال تعالى **(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)** ٢٤٨. ويسمى

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢، ١٢٨٦ – مفردات الراغب، ٤٨٢ – العين، ٢، ٣٨٨.

[٢] جامع البيان ١٩، ٤٧٣ – التحرير والتنوير ١٩، ٢٧٥.

[٣] جامع البيان ١٩، ٥٨٠، ٢١، ٣٨٦ – التحرير والتنوير ٢٠، ١٢٢.

تابوت العهد، وهو صندوق الوصايا العشر الذي أمر موسى عليه السلام بصنعه ووضع لوحي العهد فيه، وهي الألواح التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى **(وَلَمّا سَكَتَ عَن موسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلواحَ)** الأعراف ١٥٤، فهو يعبر عن السكينة والاطمئنان؛ فحين يراه بني إسرائيل يبث في قلوبهم الراحة والهدوء والسكينة [١],أما في قوله تعالى **(أَنِ اقذِفيهِ فِي التّابوتِ فَاقذِفيهِ فِي اليَمّ فَليُلقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ)** طه ٣٩. فهو له قريب منه، فإذا كان تابوت العهد لحفظ ألواح العهد، فإن تابوت موسى كان وسيلة حفظ ورعاية هو الآخر لموسى نفسه،فالتابوت هنا صندوق خشبي، أو نعش من خشب توضع فيه جثة الميت [٢]، وكما بين القرآن ففي سورة القصص لم يذكر القرآن الكريم التابوت بل ذكر اليم فقط، أما في سورة طه فذكر التابوت وهو وسيلة نجاته إلى عالم جديد غير ما كان فيه من خوف وهلع أهله عليه، إلى أمن وأمان فسوف يعيش في حماية فرعون، فكان التابوت نجاته حيث حفظه الله برعايته وصنعه، وفي نهاية حياته كان التابوت هو حافظ لألواح الرسالة السماوية، وما بين الاثنين عاش موسى عليه السلام في حفظ الله ونعمه عليه ظاهرة وباطنه.

المبحث الرابع: الأسلوب التصويري في عرض قصة موسى:

ألفاظ القصص القرآني باتحادها وانسجامها في نظم معجز تشكل سحرًا تصويرياً يحمل الخيال إلى عالم حي يشعر به ويحسه قارئ القرآن؛ فيرى مشاهده تتحرك أمامه، وهنا يرتقي الفن القصصي إلى مستوى رفيع؛ فتتذوق النفس جماله وبلاغته والهدف منه، ويمكن القول أنّ أساليب عرض القصة القرآنية كّلها تحمل في ثناياها أبعاداً بلاغية وفنية واضحة، وتصوير فني قائم على خصائص بلاغية رصينة، وسيتم تطبيق ذلك على المكان في قصة موسى عليه السلام، وكما أوردنا في مبحث سابق المكان الجغرافي المحددة هيئته والملموس، فهنا المكان له مدلول آخر تناوله القرآن الكريم يساعدنا على ذلك المفهوم الجديد للمكان في القصة الحديثة، حيث الفضاء معادل للمكان، والصورة في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهذا الفضاء ليس المكان الملموس لأنه مجرد مسألة معنوية، وإذا كان للفضاء أشكال عديدة من جغرافي، وفضاء النص وغيره [٣]، فإنا سنهتم بالفضاء الدلالي، الذي يشير إلى الصورة التي تخلفها لغة القص وما ينشأ عنها من بُعد بالدلالة المجازية،حيث يساهم المكان بهذا المعنى في إسقاط الحالة النفسية للمحكي عنه وهو موسى عليه السلام والمحيط الذي يوجد فيه [٤]، لأنه صار محوراً أساسياً داخل بنية النص وهو هنا القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك: حين يورد القرآن حديث موسى عن غضبه لما رأى قومه يعبدون العجل، أو حين خرجوا من جنات وعيون والمقصود بها مصر، أو حين يعبر بالمجاز

[١] التحرير والتنوير، ٢، ٤٩٣ – معجم اللغة العربية المعاصرة، ١، ٢٨٠.

[٢] مفردات الراغب، ١٦٢ – الوجوه والنظائر، الدامغاني، ١٤١.

[٣] بنية النص السردي / حميد لحمداني / ٦١- ٦٢.

[٤] بنية النص السردي / حميد لحمداني/ ٧٠- ٧١.

حين مشت الأخت تبحث عنه وعن بيت يكفله، أوحين صورت الآية فرعون يعذب قومه، أو يأمر هامان ببناء الصرح، هذه فضاءات متعددة، لم يصرح القرآن بها مادياً، وإنما تفهم من سياق الصورة المرسومة بدقة وعناية في إعجاز قرآني بليغ أثناء عرض القصة، وهذه تسمى أماكن متحركة تكتسب هويتها من سياقها[١]، وهنا المكان أكثر اتساعاً، ويعبر عن أماكن عدة لم تذكرها القصة، قد يكون لعدم أهمية ذكرها، أو ذكرت في سياقات أخرى، ولذا سنعرض الصورة الفنية من خلال ذلك المفهوم. ومن ذلك الإعجاز التصويري لموقف واحد يفهم بطرق عدة من خلال خيال رائق بديع حين وصف العصا،فهي حية وثعبان وجان قال تعالى **(فَأَلقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسعى)** طه ٢٠، وقوله تعالى **(فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ)** الأعراف ١٠٧، وقوله تعالى: **(وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا)** النمل ١٠وهي تصور العصا وتحولاتها على أرض الحقيقة تقنع من كانت لديه ذرة استعداد للإيمان، أمام الملأ وعلى أعين الناس، فهي تصور أحوالاً تكمل بعضها البعض فهي حية في ضخامتها، وثعبان في خفتها ونشاطه، وجان فيما تثيره من فزع، ومع أن هذه الصورة تكون في مشهد واحد لكن يختلف أثرها على العين، وهي قريبة تشبه الحية التي تسعى، فإذا ابتعدت ظهرت كالثعبان المبين، أما إذا ابتعدت أكثر تصبح كالجان المنطلق بعيداً كالسهم[٢].وهذا ما يؤكده قطب في أن القرآن كتاب دعوة دينية والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، لأن القرآن يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب الوجدان الديني بلغة الجمال الفنية[٣]،كما استخدمها القرآن الكريم في قصة موسى. وسنوضح بعضاً مما ورد في آيات قصة موسى عليه السلام:

– **الاستعارة مكنية:** هي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه [٤]، ولها سر جمال وهو التشخيص: وهو إسناد صفة من يعقل أي الإنسان إلى ما لا يعقل من المحسوسات والمعنويات بحيث تبدو وكأن لها حواس الإنسان ومشاعره، ومخاطبة من لا يعقل بخطاب من يعقل وتقديمه في صورة معينة، والتجسيم وغيره وهذا ما استخدمته كثير من آيات القرآن الكريم كما سنرى: في قوله تعالى **(وَلَمّا سَكَتَ عَن موسَى الغَضَبُ)** الأعراف ١٥٤ شبه الغضب بإنسان ساكت وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي السكوت وفيها تشخيص [٥]. وهي تفيد المبالغة في تأكيد المعنى. وفي الآية لطيفة أخرى، فأصل الآية: ولما سكت موسى عن الغضب، ولكن لأن الغضب لما كان متمكناً منه حتى كان كل ما وقع منه صادراً عن الغضب، كأن الغضب هو الذي أمره بذلك، ويقول له أفعل كذا وكذا، أي وألق الألواح وخذ برأس أخيك، وولذا قدم عن موسى على

[١] الرواية والمكان / ياسين النصير / ٢٠.

[٢] القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ٧١.

[٣] التصوير الفني / سيد قطب، ١٤٣، ١٧١.

[٤] علم البيان، عتيق، ١٧١، علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ١٩٨.

[٥] من بلاغة القرآن / محمد علوان/ ٢١٦، أنظر نور الدين دحماني، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي، ٣٤٢.

الغضب [1].وقوله تعالى (**كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**) الدخان ٢٨-٢٩. عدم بكاء السماء والأرض وهما من الجمادات، يعكس فرحة الكون وسعادته بهلاك الظالمين، وكأن الأرض تستثقل وقع أقدامهم، والسماء تكره رؤية أبصارهم وأعناقهم، ففي تشبيه السماء والأرض بإنسان يحزن ويتألم وهو أدق ما يملك الإنسان من مشاعر، إشعار بتعاطف الكون وتجاوبه مع ما يصيب الإنسان من أفراح وأتراح [2]، وقد بين ذلك ابن عباس وجاهد وابن جبير أن بقاع الأرض التي كان يصعد عمه منها إلى السماء تبكي عليه بعد موته، يعني المؤمن [3]. وقوله تعالى: (**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا**) القصص ١٠ صورت الآيات قلب أم موسى بإناء فارغ، خواء فارغ من كل شيء، وفيه تجسيم لمكان خاو من المشاعر وكما عبر عنه صاحب الظلال، والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية: "فارِغاً" لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر "إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ" وتذيع أمرها في الناس، وتهتف: أنا أضعت طفلي. أنا ألقيت به في اليم اتباعاً لهاتف غريب "لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها" وشددنا عليه وثبتناها، وأمسكنا بها من الهيام والشرود [4]، وقد قال ابن عباس عن ذلك ومجاهد وقتاده الضحاك أنه فارغ من كل شيء إلا من ذكر موسى [5]. وقوله تعالى (**وَأَلْقَيتُ عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنّي وَلِتُصنَعَ عَلى عَيني**) طه ٣٩حيث صورت الآية المحبة وكأنها شيء مادي يلقى على المحبوب على سبيل الاستعارة، وفيها من حفظ الله ورعايته كما في قوله تعالى " على عيني" وكما فسر تلك المحبة البعض بأن الله لم يخبره بأنه يحبه وإن كان يحبه، بل حببه إلى قلوب من يراه فكان ذلك سبب نجاته في السنة التي يقتل فيها فرعون أبناء قومه [6]، قال عباس مؤكداً ذلك حببتك إلى عبادي، وقال الصداني: حببتك إلى خلقي وقال غيره: بل حسنت خلقك [7].

- **الاستعارة تصريحية:** وهي حذف المشبه والتصريح بالمشبه به [8]، في قوله تعالى (**وَلَقَد أَرسَلنا موسى بِآياتِنا أَن أَخرِج قَومَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ**) إبراهيم ٥. تصوير الكفر والإيمان بالظلمات والنور، حيث درج الإنسان على حب النور وفيه صورة الحياة والحركة، وكره الظلمات وفيه صورة الموت يقبض على الأنفاس ويرغمها على السكون [9].

---

[1] من أسرار النظم القرآني / محمد عبدالله سعادة/٦٨، الكشاف / ٢/ ١٢٠ مجاز القرآن / الصغير /٢١.

[2] من بيان القرآن / محمد الأمين الخضري/ ٧٩.

[3] تفسير الطبري، ٢٢، ٣٤.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ٢٦٨١.

[5] تفسير الطبري، ١٩، ٥٢٧.

[6] مجاز القرآن، محمد الصغير، ٢٦.

[7] تفسير الطبري، ١٨، ٣٠٣.

[8] علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ١٩٩.

[9] من بيان القرآن / محمد الأمين الخضري /٥٠، ٥٢.

-**المجاز المرسل:** هو كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة لفظية أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي [١]، وله أنواع عديدة: في قوله تعالى **(قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا)** القصص ٣٥. فيها مجاز مرسل **علاقته الجزئية،** ويراد بها إطلاق الجزء وإرادة الكل، أي سنقويك به، فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور، ولذلك يعبر عنها باليد وشدتها بشدة العضد، فعبر بالعضد وأراد جملة الذات، فهو مظهر القوة [٢]. ويمكن أن تكون من باب الاستعارة التمثيلية، حيث شبه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بيد شديدة [٣].

-ومنه قوله تعالى **(إِذ تَمشي أُختُكَ فَتَقولُ هَل أَدُلُّكُم عَلى مَن يَكفُلُهُ فَرَجَعناكَ إِلى أُمِّكَ كَي تَقَرَّ عَينُها وَلا تَحزَنَ)** طه ٤٠في الآية مجاز مرسل **علاقته الجزئية،** حيث أطلق الجزء وهو لفظة "عينها " وأراد الكل وهي النفس وذلك لأن العين هي الجزء الذي يظهر لنا ما في النفس من ألم وحسرة وفرح وسرور، فاستقرار العين دلالة على استقراء النفس ٤. وقوله تعالى **(وَقالوا مَهما تَأتِنا بِهِ مِن آيَةٍ لِتَسحَرَنا بِها فَما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنينَ)** الأعراف ١٣٢. فيها مجاز مرسل **علاقته الكلية،** وفيها يطلق الكل ويراد الجزء مبالغة في أن الكل قد شارك الجزء فيما هو خاص به. يصور على لسان قوم فرعون إيقاع السحر على جملتهم مع أن السحر يخدع العين، ويخيل إليها رؤية ما لم تره، كما صرح به القرآن في قوله تعالى **(قالَ أَلقوا فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاسترَهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ)** الأعراف ١١٦ فقولهم "تسحرنا" مجاز مرسل أطلق الكل وأريد الجزء وهو الأعين، وفيه دلالة على فرط عنادهم وإصرارهم على الكفر، حتى لو سحر موسى كل حواسهم. وفي قوله تعالى **(إِنَّهُ مَن يَأتِ رَبَّهُ مُجرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَموتُ فيها وَلا يَحيى)** طه ٧٤ فيها مجاز مرسل **علاقته اعتبار ما كان،** وهو التعبير عن الشيء بما كان عليه في الماضي بدلاً من التعبير عنه بصورته الحالية، مع وجود صلة بين صورته في الماضي وحاضر الكلام. وقد عبر بالمجرم وقد فارقه الإجرام بالموت، فوصفه به من وصف الشيء بما كان عليه في الماضي، وذلك ليربط بين ما حل به من العذاب في جهنم وبين هذا الوصف الذي ساقه إلى هذا المصير [٥]. وقوله تعالى **(إِنَّهُ مَن يَأتِ رَبَّهُ مُجرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَموتُ فيها وَلا يَحيى)** غافر ٣٦ فيه مجاز مرسل **علاقته السببية** وهو أن يطلق السبب ويراد المسبب، حيث أسند فعل البناء إلى هامان إسناداً مجازياً علاقته السببية لأن هامان هو السبب في البناء وهو المسئول عن تنفيذه [٦]. وقوله تعالى **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ**

---

[١] علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ٢١٥.

[٢] من بيان القرآن / محمد الأمين الخضري/ ٨٩، تفسير أبي السعود /٣/٧.

[٣] عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ١٨٦.

[٤] من بلاغة القرآن / محمد علوان/ ٢٠٧.

[٥] من بيان القرآن / محمد الأمين الخضري/ ٩٨، من بلاغة القرآن / محمد علوان/ ٢٠٩.

[٦] من بلاغة القرآن، محمد علوان، ٢٠١.

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) القصص٤ فيها مجاز مرسل **علاقته السببية،** حيث أسند الذبح إلى فرعون علماً بأن فرعون ليس هو الذابح، لكنه لما كان الأمر صادراً منه نزل منزلة الذابح [١]، وقال قتاده وغيره عن أفعال فرعون أنه جعلهم فرقاً، يذبح طائفة منهم، يستحيي طائفة، ويضرب طائفة، ويستعبد طائفة [٢].

– **التشبيه:** هو صورة تقوم على تمثيل شيء بشيء آخر حسي مجرد، لاشتراكهما في صفة حسية مجردة أو أكثر[٣]، وللتشبيه أنواع عديدة، بليغ، مجمل، مفصل، تمثيلي، ضمني. ومن ذلك قوله تعالى **(وَإِذ نَتَقنَا الجَبَلَ فَوقَهُم كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ)** الأعراف: ١٧١، فيه تشبيه حين رفع الله تعالى الجبل فوقهم فأحاط بهم كالظلة إلى درجة أيقنوا معها بالهلاك، وأكد ذلك الهلاك الواقع بهم حين عبر ب "واقع بهم" دون "عليهم" وكأن قلوبهم و أرواحهم طارت من أجسادهم وتعلقت بهذا الجبل الذي يوشك أن يهوي بهم إلى أعماق الأرض[٤]. وقوله تعالى **(فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)** الشعراء ٦٣ هنا تشبيه الموج بالجبال يملأ القلوب فزعاً، أما هنا فإنه يبعث على الطمأنينة والأمن وينشر السكينة في نفوس بني إسرائيل، حين ضرب موسى البحر بعصاه، وانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم في ضخامته وارتفاعه، حيث تبعث الراحة في النفوس الفزعة، ولفظة الطود تبرز قدرته تعالى في الحجز بين الأمواج البالغة عنان السماء [٥]. وقوله تعالى **(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)** البقرة ٧٤. شبه قسوة القلوب بقسوة الحجارة، فهو تشبيه يحدد قسوة القلوب التي فاقت قسوة هذه الصخور الصلبة [٦]. وقوله تعالى **(وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)** النمل ١٠، فيها تشبيه المحسوس بالمعقول [٧] حيث شبه العصى المحسوسة بالجان غير المحسوس. وقوله تعالى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُم في جُذوعِ النَّخلِ وَلَتَعلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذابًا وَأَبقى) طه ٧١ شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعي في دعائه فلذلك قيل في جذوع النخل [٨].

–الكناية: هي أن تتكلم بالشيء وتريد غيره، وسر جمال الكناية إثبات المعنى بإقامة الدليل عليه، لأنه يوهمك بأن المعنى مسلم به فهي تأتي لإثبات الدليل وإقامة الشاهد[٩]. ومن ذلك قوله تعالى(**وَلَمّا سُقِطَ في أَيديهِم وَرَأَوا أَنَّهُم قَد ضَلّوا قالوا لَئِن لَم يَرحَمنا رَبُّنا وَيَغفِر لَنا لَنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ)** الأعراف ١٤٩ وهي **كناية عن**

---

[١] من بلاغة القرآن، محمد علوان، ١٩٩.

[٢] تفسير الطبري، ١٩، ٥١٦.

[٣] علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ١٤٣.

[٤] من بيان القرآن، محمد الأمين الخضري، ١٨.

[٥] من بيان القرآن، محمد الأمين الخضري، ٢٠، أساس البلاغة، مادة طود.

[٦] البرهان للزركشي، ٢،٤٢، معترك الأقران للسيوطي، ١، ٢٧.

[٧] من بلاغة القرآن، محمد علوان، ١٥٧.

[٨] عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ٢٣٥.

[٩] من بلاغة القرآن / محمد علوان/ ٢٢٩.

صفة، وهي أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه ويكنى عن الصفة وهي تستعمل في الصفات المعنوية. قال الخطيب القزويني عن الآية: ولما سقط في أيديهم أي لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غماً، فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاه قد وقع فيها[١] " وهذه حالة النادم أن تسقط يده على يده ويخبئ وجهه في كفيه حسرة على ما فعله. وقوله تعالى **(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ)** سورة البقرة ٦١، **كناية عن نسبة،** وهي أن يصرح بالوصف والموصوف ويكنى عن نسبة الصفة بنسبتها إلى شيء مرتبط به، بحيث ينتقل الذهن من نسبتها إلى هذا الشيء إلى نسبتها إلى الموصوف ويسميه عبد القاهر كناية في الإثبات [٢]. حيث وصفت بني إسرائيل كناية عن كونهم إذلاء متصاغرين، وقد صرح فيه بالموصوف وهم بنو إسرائيل العائد عليهم الضمير في قوله " عليهم " وصرح فيه بالصفة وهي الذلة والمسكنة، ولكنه لم يصرح بنسبتها إليهم وإنما جعلها مضروبة عليهم كما تضرب الخيمة على صاحبها[٣]. وفي قوله تعالى **(وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ)** القصص ٣٢. فقد كنى بالجناح عن اليد لأنها للإنسان كالجناح للطائر [٤]. وهي **كناية عن موصوف.**

– **الاحتراس:** هو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع هذا الاحتمال كقوله تعالى **(اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)** القصص ٣٢. فاحترس سبحانه بقوله " من غير سوء " لرفع احتمال أن يدخل في ذلك مرض كالبرص أو البهاق أو غيره [٥].

– **الإطناب:** عرفه الجرجاني بأنه " أداة المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، فهو يؤدي المعنى بلفظ زائد عليه لفائدة ٦، وله أنواع عديدة. ومن ذلك قوله تعالى **(ما تِلكَ بِيَمينِكَ يا موسى ﴿١٧﴾ قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى)** طه ١٧–١٨. سأله الله كي يستفرغ موسى ما عنده من وظائف للعصا ومنافعها، ثم يفاجئه بما ليس في حسبانه من أمور ما كان يظن أن عصاه تجود بها [٧]، وهذا يسمى إطناب بالتفصيل بعد الإجمال، وقد قال قتادة وابن زيد وغيره ما يؤكد ذلك في تفسيره للآية أنه يتوكأ عليها حين يمشي مع الغنم، ويهش بها، فيحرك ورق الشجر حتى يسقط، ولي حوائج أخرى قد علمتها كما قال بها ابن

---

[١] من بيان القرآن / محمد الأمين الخضري/ ١١٠، القزويني / الإيضاح / ٣/ ١٧٩، من بلاغة القرآن / محمد علوان/ ٢٣٢.

[٢] دلائل الإعجاز / الجرجاني / ٣٠٦.

[٣] من بيان القرآن / محمد الأمين الخضري / ٣١٩، روح المعاني / الألوسي / ١/ ٢٧٧.

[٤] عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ١٨٦.

[٥] من أسرار النظم القرآني / محمد عبدالله سعادة/١٦٧، البرهان /٦٦/٣.

[٦] علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ٣٦٢ وانظر تعريفات الجرجاني، ٣٠.

[٧] بدائع الإضمار القصصي /كاظم الظواهري / ١١٩.

عباس ومجاهد والسدي[1]، هذا ما اعتمدت عليه قصة موسى في التشويق لاستعمالات العصا ضد فرعون وسحرته. وفي قوله تعالى **(قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)** القصص ٢٣ فيها إطناب **تفصيل بعد إجمال**، من خلال حوار موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب، حين سألهما "ما خطبكما " أجابتا على سؤال موسى، وهذا التفصيل فيه حياء منهما، أو لدفع التزاحم، أو إشارة لأخلاقهما [2]، أو غير ذلك مما يقدره القارئ حسب سياق الموقف. وهذا نجده في كثير مما ورد في قصة موسى عليه السلام مثل موقف مؤمن آل فرعون حينما تأزم الموقف بين فرعون وموسى عليه السلام، وقصة البقرة التي جادل فيها قومه حول صفاتها مما صعب عليهم في الاختيار، وكذلك في قصته حينما اتخذوا إلهاً من دون الله وعبدوا العجل.

-**الإيجاز**: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع وفائها بالغرض المقصود ورعاية الإبانة والإفصاح عنها وهو نوعان: إيجاز بالقصر: معاني كثيرة في ألفاظ قليلة. وإيجاز بالحذف: حذف شيء من العبارة مع إبقاء وقرينة تدل عليها [3].

-**إيجاز بالقصر**: في قوله تعالى: **(فَأَتبَعَهُم فِرعَونُ بِجُنودِهِ فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُم)** طه ٧٨، والمقصود من الغشيان هنا هو الهول العظيم الذي حل بفرعون وجنوده، فدل الغموض في اسم الموصول "ما" وصلته "غشيهم" على تفخيم هذا الأمر وتعظيمه [4]، وهذا مما فيه من إيجاز لما حل بهم من أمور هائلة وخطوب عظيمة، فيرى الزمخشري أن في الآية من باب الاختصار وجوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله [5].

-**إيجاز بالحذف**: في قوله تعالى: **(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)** القصص ٢٣. فقد حذف المفعول في أربعة مواضع وزاد الزركشي مفعولاً خامساً في قوله تعالى **(حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ)** وتقديره مواشيهم [6]. إذ المعنى المفهوم من الحذف " وجد علي الماء جماعة من الناس يسقون غنمهم، أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقي لهما غنمهما " وهذا ما يثير انتباه القارئ للبحث عن المحذوف وتقديره كل حسب بيئته[7]، وقد أكد ذلك ما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي أنهما تحبسان غنمهما عن الناس حتى

---

[1] تفسير الطبري، ١٨، ٢٩٣، ٢٩٤.

[2] القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ١٢٦.

[3] بلاغة القص في القرآن / سعاد الناصر / ١٢٦، وانظر علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ٣٥٨، ٣٥٩.

[4] نور الدين ادحماني، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، دكتوراه، ٣٥٧، المثل السائر، ٢، ٣٣٦.

[5] الزمخشري، الكشاف، ٣، ٧٩.

[6] البرهان في علوم القرآن، ٣، ١٧٦.

[7] أسس بناء القصة في القرآن الكريم، محمد عبد اللاه، ٩٢، وانظر دلائل الإعجاز، ١٢٤، البرهان في علوم القرآن، ٣، ١٠٤.

يفرغوا من سقي مواشيهم ثم نتبع فضلاتهم [١]. ومنه قوله تعالى **(وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** سورة البقرة ٩٣ حيث حذف المضاف وتقديره "حب" للدلالة على حقيقة ثابتة لدى هؤلاء العاصين، فكأنهم تشربوا حب هذا المعبود في قلوبهم [٢]، فصار ذلك سمة من صفات ضلالهم وغيهم في عبادة عجل السامري. وقوله تعالى **(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)** سورة البقرة ٦٠. تعني الآية أنه ضرب فانفجرت فاكتفى بالمسبب الذي هو الانفجار عن السبب الذي هو الضرب وقال الزمخشري " الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت، أو لأن ضربت فقد انفجرت، وقال البيضاوي " فانفجرت" متعلقة بمحذوف تقديره فإن ضربت فقد انفجرت، أو فضرب فانفجرت [٣]، وهذا مما شوق المفسرين والبلاغيين في تقدير المحذوف، كل يدلو بدلوه فيما عنّ له تفسير يتفق فيه والآخرين.وقوله تعالى **(وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ)** القصص ٢٠.كلمة (أقصا) صفة لمحذوف هو المضاف في المعنى إلى (المدينة)، والتقدير: من بعيد المدينة، أي طرف المدينة، وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لأن قلب المدينة هو مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إلي الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدينة؛فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة اكتراث بالآخرين لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو [٤].وبهذا يظهر وجه تقديم " من أقصا المدينة "على "رجل "للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف مالا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة [٥].

الخاتمة: نتائج ما توصل إليه الباحث: القصة القرآنية لها أهداف وغايات تختلف اختلافاً جذرياً عن القصة والرواية الحديثة، في القرآن القصة وسيلة من وسائل تبليغ الرسالة النبوية، نشر الدعوة، نشر القيم الإنسانية، إقامة الحجة على غيرهم، تثبيت المؤمنين على الحق، تصحيح العقيدة وغير ذلك مما ورد في البحث، أما القصة الحديثة فغايتها الفن أساساً وقد يكون لها هدف في بعض القصص الكلاسيكية لكن ليس جميعها كذلك؛ لأن هناك من يرفض هذا الاتجاه، فالعمل الأدبي لا يقصد به تأييد مذهب اجتماعي أو غرض إصلاحي، إنما هو عمل

---

[١] تفسير الطبري، ١٩، ٥٥٤.

[٢] مجاز القرآن، محمد الصغير، ١٥٣.

[٣] بدائع الإضمار القصصي /كاظم الظواهري، ٩، ١٠.

[٤] تفسير التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢١٣.

[٥] السابق، ٢٢/ ٢١٣.

فني بحت. –الرواية الحديثة تعتمد على هيكل مكون من الحكاية، الشخصيات، الحبكة الروائية، المكان، الزمان، التنبؤ، الإطار، النظم، أما القصة القرآنية فلا تعتمد على خصائص وسمات الرواية الحديثة، وإن سارت على بعض من هذه السمات، لكنها ليست هدفاُ في حد ذاته. –استخدم القرآن الكريم في بناء القصة بعضاُ من بناء الرواية الحديثة مثل البناء المقرر، المتوازي، الدائري، الفلاش باك، التكثيف، والقصة المغلقة، والقصة المفتوحة. –يشترك المكان في القصة القرآنية في إبراز الأحداث دون أن يكون له وصفاً جغرافياً وإنما اسماً يطلقه على مكان ما أو لا يذكر هذا المكان، ويترك للمفسرين النظر حوله والتأمل فيه، أما المكان في القصة التقليدية، فقد تطور مع تطورها فكان في البدء جزءً أساسياُ من هيكلها إلى أن تطورت الرواية فصارت لا تعتمد عليه واستعاضت عنه بسمات أخرى مثل الفضاء، الحيز، تيار الوعي.

–استخدمت الرواية الحديثة بديلاً عن المكان الفضاء أو الحيز، وهو ليس المكان الملموس المحسوس؛ بل مجرد مسألة معنوية وهو مظهر خلفي للمكان، فلا يعبر عنها بألفاظ مثل جبل، طريق، بيت، مدينة، بل يستخدم ألفاظاً تعبر عن المكان مثل سافر، خرج، دخل، أبحر، مرّ، وإن كان القرآن استخدم في قصصه المكان المحسوس مثل جبل، بيت، مدينة، قرية، إلا أنه استخدم كذلك الفضاء والحيز مثل (ألقيه، أقذفيه، توجه، ألق عصاك، قصيه، التقطه، خرج خائفاً، ابن لي صرحاً) وغير ذلك مما استخدمته القصة القرآنية. –القصة القرآنية قصة واقعية تحدثت عن أحداث غيبية قبل البعثة عن الرسل والأنبياء والصالحين، أما الرواية الحديثة ففيها الواقعي والتقليدي وجمعيها يعتمد على خيال المؤلف في تركيب أحداثها. –يختلف دلالة اللفظ في قصة موسى عليه السلام عنه في آيات أخرى وقد يتفق مع بعضها والذي يحدد ذلك هو سياق الآية القرآنية والموقف الذي تتحدث عنه مثل هذه الألفاظ (اليم، البحر، القرية، المدينة، التابوت، الصرح). –استخدم القرآن الكريم الصورة المجازية بكافة أنواعها من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز لرسم صورة مرئية مشاهدة في أحداث القصة لتأكيد فكرة، إبراز قدرة إلهية، صورة نفسية تبعث إما بالطمأنينة أو بالهلع، وغير ذلك مما ورد في ثنايا البحث.

المراجع:

١٠أركان الرواية، أ. م. فوستر، سلسلة الألف كتاب، عدد ٣٠٦، ترجمة كمال جاد، دار الكرنك، القاهرة، ١٩٦٠.

٢٠أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، ت: عبد الرحيم محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م ٣. أساليب عرض قصة موسى في القرآن "دراسة بلاغية"، خالد بن عبد الله بن محمد العمري، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة القصيم، ٢٠١١-٢٠١٢.

٤٠أسس بناء القصة في القرآن الكريم، محمد دبور، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٩٩٦ م.

٠٥ إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، طبع جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٧ م.

٠٦ أعلام المكان في القرآن الكريم، يوسف أحمد علي أبو ريدة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠٠٨م.

٠٧ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٠٨ البحر المحيط، محمد بن حيان الغرناطي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٠٩ البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان، تحقيق على معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٠ بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، كاظم الظواهري، ط ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١ م.

١١ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

١٢ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد الفيروز آبادي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٣ بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، نور الدين دحماني، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، ٢٠١١ م.

١٤ بلاغة القص في القرآن الكريم وآفاق التلقي، سعاد الناصر، كتاب الأمة (١٦٩)، ط١، الدوحة، ٢٠١٥ م.

١٥ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، ط١، ١٩٩٩م.

١٦ بناء الرواية، سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤ م.

١٧ البناء الزمني للأحداث في القصة القرآنية موسى نموذجاً، يوسف الطحان، مجلة العلوم الإسلامية، مجلد ٢، ١٤٢٩ هـ.

١٨ بنية النص السردي، حميد الحمداني، المركز الثقافي للطباعة والنشر، ط ١.

١٩ تاج العروس، الزبيدي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١.

٢٠ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط ١٧، دار الشروق القاهرة، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤ م

٢١ تطور الرواية العربية الحديثة، جيسي مانز، ترجمة لطفيه الدليمي، دار المدى، بيروت، ٢٠١٦ م.

٢٢ التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٢٣ تفسير ابن كثير، ابن كثير، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٤ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٥. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.
٢٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٢٧. تفسير لنسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات النسفي، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة.
٢٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة رسالة، القاهرة.
٣٠. جامع البيان في متشابه القرآن، أبو سريع محمد، دار الحضارة، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.
٣١. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، عمر باحاذق، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ١٩٩٣ م.
٣٢. الخطاب القرآني مقاربة توصيفيه لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٨م.
٣٣. الدرر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٤. الدلالات السياقية للقصص القرآني " قصة النبي موسى نموذجاً"، بوزيد رحمون، رسالة ماجستير جامعة سطيف، الجزائر، ٢٠١٠- ٢٠١١ م.
٣٥. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط١، ١٩٨٣م.
٣٦. الرواية العربية الجديدة، بلحيا الطاهر، ط ١، ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١٧ م.
٣٧. الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦.
٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
٣٩. معجم الصحاح، إسماعيل الجوهري، دار المعرفة، لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٤٠. العبرة من قصة موسى في القرآن الكريم، محمد عدوي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة الملك عبد العزيز، ١٩٨٠ م.
٤١. علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م.
٤٢. علوم البلاغة، محمد أحمد ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ٢٠٠٣ م.
٤٣. عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، صائل شديد، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ م.

٤٤. فتح القدير، محمد بن على الشوكاني، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٧م.
٤٥. فن القصة، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥ م.
٤٦. الفائق، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.
٤٧. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، سينا للنشر، بيروت، القاهرة، ١٩٩٩ م
٤٨. في الرواية العربية، فاروق خورشيد، ط ٣، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢ م.
٤٩. في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار الفكر، بيروت، ط ١.
٥٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٩، بيروت، ١٩٨٠م.
٥١. في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، رقم ٢٤٠، ١٩٩٨م.
٥٢. قصص الأنبياء، أبو الفداء ابن كثير، تحقيق محمد عبد العزيز، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٥٣. القصة الرواية المؤلف، دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، تود كنت وآخرين، ت خيري دومة، دار شرقيات، ط ١، ١٩٩٧م، القاهرة.
٥٤. لقصص القرآني، صلاح الخالدي، جزء ١، دار القلم دمشق، طبعة ١، ١٩٩٨ م.
٥٥. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة النشر، بيروت،١٩٧٥ م.
٥٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٥٧. كتاب العين، الخليل بن أحمد، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م.
٥٨. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ٢٠٠٣م.
٥٩. مجاز القرآن، محمد حسن الصغير، دار المؤرخ العربي بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٦٠. مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، شهاب الدين فضل، ت عبد الله السريحي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
٦١. معاني القرآن، أبو زكريا يحيي بن زياد، تحقيق فاتن اللبون، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٣م.
٦٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٦٣. معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، طبعة ١، ٢٠٠٨ م.

٠٦٥ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٠٦٦ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق ٢٠٠٩م.
٠٦٧ من أسرار النظم القرآني، محمد عبد الله سعادة، مكتبة بسملة، الإسكندرية.
٠٦٨ من بلاغة القرآن الكريم، محمد ونعمان شعبان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م.
٠٦٩ من بيان القرآن الكريم، محمد الأمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١ م.
٠٧٠ نظم الدرر في تناسب السور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.
٠٧١ الوجوه والنظائر، أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، ت عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت.

p-ISSN: 1652 - 7189 e-ISSN: 1658 - 7472 Issue No.: 18 ... Rajab 1440 H – APR 2019 G

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

Published by Albaha University

دار المنار للطباعة 017 7223212

Email: buj@bu.edu.sa https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs